

التخطيط الدعوي واستشراف المستقبل في السنة النبوية المشرفة

د. معاذ محمد أبو الفتح البيانوني^(*)

(*) مكتب وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة الكويت.

ملخص البحث:

من متطلبات البصيرة الدعوية: حسن تفاعل الدعاة إلى الله تعالى مع مستجدات العصر الفنية والمهارية، التي من أبرزها: علم التخطيط واستشراف المستقبل، ومع وجود أصول تطبيقية لهذه المعارف في مصادر الوحي الرباني من كتاب وسنة، لم تبرز بصورة علوم وفنون مستقلة إلا في عصور متأخرة، وفي هذا الإطار يأتي هذا البحث الموجز عن التخطيط الدعوي في السنة النبوية المشرفة، موضحاً مكانة السنة النبوية المشرفة من علم الدعوة، باعتبارها مصدراً من مصادره، وأصلاً ودليلاً من أدلته، وضابطاً ومقوماً للجهود الدعوية المتنوعة.

وفي هذه الدراسة - أيضاً - بيان لما اجتمع للنبي صلى الله عليه وسلم من مرتكزات التخطيط واستشراف المستقبل بكل أبعادها ومجالاتها، من كمال الرسالة الربانية، وكمال الشخصية البشرية، ووضوح الوظيفة المؤتمن عليها، وتحديد الشريحة المستهدفة في دعوته، إضافة إلى ثروة عظيمة من التجارب السابقة المعروضة في سياق القصص القرآني، وخبرته بقومه الذين بعث فيهم نبياً ورسولاً صلى الله عليه وسلم، مع ما حظي به من عناية ربانية مسددة، ومن هنا كان التفوق والنجاح، والإنجاز والإبداع، سمة من سمات النبي صلى الله عليه وسلم، حيث أحاط بما يحتاج إليه من تاريخ السابقين، وأحسن التفاعل مع الواقع والحاضر الذي يعيشه، واستشرف المستقبل المنظور بخبرة وبصيرة، حتى تحقق له تمام المسيرة الدعوية بلاغاً وتعليماً وتطبيقاً.

كما ركزت الدراسة على عدد من النصوص والمواقف المحمدية في مجال الدعوة التبليغية والتعليمية والتطبيقية كنموذج دعوي فريد، جمع بين معطيات التشريع وضوابطه، ومعارف الواقع وفنياته، بمهارة وكفاءة عالية، سطر من خلالها صورة حضارية مشرقة، يشع نورها من هذا التناسق الفريد بين التشريع والواقع، مما جعل منه أسوة للعالمين، ومن هنا اقترحت الدراسة قواعد للتخطيط الدعوي، سواء منها ما يتعلق بالشرع وضوابطه الحاكمة، أو بالواقع ومعطياته الفنية، أو بالقدرات والإمكانات المهارية، وبهذا تعتبر الدراسة جهداً متمماً ومتابعاً لما بذله العلماء والدعاة في هذا الإطار، وتوسيعاً وبياناً لمجال من مجالات علم الدعوة إلى الله تعالى.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه المبين: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب، ٢١)، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، المرسل رحمة للعالمين، الداعي إلى الله تعالى على بصيرة، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف، ١٠٨)، ورضي الله تعالى عن الآل والأصحاب والتابعين، والمقتفين أثرهم من العلماء والدعاة العاملين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن مدارس التأسيسي والافتداء، وحظوظ الإرث والانتفاع، بسنة وهدى خير الأنام صلى الله عليه وسلم، ما تزال في تطور وارتقاء، وتنوع واتساع؛ لتحقيق شمولية المنهج النبوي، وتبرز معالم الكمال والتمام في الهدى والرسالة المحمدية، التي رضيها الله تعالى لنا ديناً، وامتن علينا بتمامها وكمالها، ومن مدارس التأسيسي، وأنصبة الإرث النبوي، ما حظي به علم الدعوة إلى الله تعالى، الذي توجه نحو تفعيل الهدى المحمدي في التبليغ والتعليم والتطبيق لرسالة الإسلام، سواء أكان ذلك من خلال المناهج أو الأساليب أو الوسائل، وسواء منها الرسالي المعصوم أو البشري الاجتهادي، وسواء منها الثابت أو المتغير... لتكون - بذلك - السنة النبوية المشرفة مصدراً من مصادر علم الدعوة، يرجع إليها في الحكم والاستدلال، وتطبيقاً من التطبيقات الراشدة المسددة، تجمع بين كمال الرسالة الربانية، وكمال الشخصية البشرية، ومعياراً من المعايير التي يتحاكم إليها في بيان سلامة المناهج والأساليب والوسائل الدعوية، فهي سنة تتبع، وسيرة تقتفى، وأنموذج يحتذى، ومورد يروي الواردين...

ونظراً لارتباط علم الدعوة إلى الله تعالى بالرسالة الخاتمة موضوعاً وضابطاً، وبالحياة المتغيرة مجالاً وميداناً، وبالإنسان المسلم وظيفة وعملاً، فقد جعل الله تعالى في كل من الدين والحياة ثوابت تجمع الأمة التي وصفها الله تعالى بالخيرية، ومتغيرات تكون ميداناً للتنافس والاجتهاد والمسابقة في

الخيرات...، وفي هذا الإطار تأتي الجهود الدعوية التي تهتم بمنهجية التشريع في التبليغ والتعليم والتطبيق، فعلم الدعوة لا ينفك عن المصادر الإسلامية الأصلية، ولا ينفصم عن العلوم والمعارف، والفنون والمهارات الحديثة، بل يسعى للتوفيق بينها، والإفادة منها، وتحقيق التناسق والشمول من خلالها، ومن أبرز المهارات الجديدة والمحدثة ظاهراً، والمعتنى بها في مصادر التشريع الإسلامي حقيقة وباطناً: مهارة التخطيط والاستشراف المستقبلي، التي أصبحت معلماً من معالم الجودة، ومعيّاراً من معايير القوة والرشاد، ومهارة من مهارات التطور والتقدم، وأساساً من أسس النجاح ومرتكزاته.

وتتنوع الدراسات السابقة المتوافرة في المكتبات الإسلامية بتنوع مجالات البحث التي حاولت أن أجعل منها موضوعاً كلياً مترابطاً، فمن هذه الدراسات: ما يتعلق بالدعوة إلى الله تعالى، ككتاب المدخل إلى عمل الدعوة، لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني - حفظه الله -، ومنها - أيضاً - كتاب أصول الدعوة، لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الكريم زيدان - حفظه الله -، وغيرها من الكتب التي تحدثت عن علم الدعوة، ولكن الإضافة - هنا - في التطبيق الدعوي على منهج التخطيط في السنة النبوية، باعتبارها مصدراً للدعوة، وتجربة معصومة من تجاربها، ومن هذه الدراسات: ما يتعلق بالتخطيط في الدعوة إلى الله تعالى، ومنها: كتاب التخطيط للدعوة الإسلامية، لسعادة المستشار علي محمد جريشة - حفظه الله - حيث سلط الكتاب الضوء على خارطة العالم اليوم؛ ليتعرف الدعاة إلى الله تعالى على مداخل لدعوتهم، ويسيروا على بصيرة من أمرهم، ومنها أيضاً: رسالة ماجستير بعنوان التخطيط للدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية، لعبد المولى الطاهر المكي، وهي دراسة موسعة في عرض التخطيط الدعوي، جمعت أطراف موضوع التخطيط الدعوي بشكل كبير، وتطرقت إلى بعض التطبيقات الدعوية من خلال السيرة النبوية، ومن ثم عادت لتؤصل موضوع التخطيط في الدعوة إلى الله تعالى، حيث تبقى الحاجة قائمة إلى قراءة السنة والسيرة النبوية المشرفة بروح الداعية من حيث التبليغ والتعليم والتطبيق، وربط ذلك بالتخطيط والرؤية المستقبلية، واستنباط القواعد المناسبة لذلك.

ومن الدراسات السابقة أيضاً ما توجه نحو السنة النبوية المشرفة من حيث حجيتها، وتطبيقاتها ومنهجية فهمها، ومن ذلك: كتاب الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، للإمام القرافي -رحمه الله-، وقد أصل فيه لمستويات الأخذ والفهم للسنة النبوية المشرفة، وكتاب السنة التشريعية وغير التشريعية، لمحمد الطاهر بن عاشور، وعلي الخفيف، ومحمد سليم العوا، ومحمد عمارة، ويُعدُّ هذا المجال أحد فروع البحث، فقد اعتمدت على بعض النصوص التي جاءت في الكتابين السابقين، بما يخدم موضوع البحث.

ومنها أيضاً: كتاب فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي -حفظه الله- القيم [كيف نتعامل مع السنة] حيث وضع فيه توجيهات مهمة عامة تسهم في فهم السنة للداعية وغيره، ثم تطرق لبعض القواعد التي يتوجب على الدعاة التزامها في عرضهم للسنة، ومواعظهم من خلالها، وحسن اختيار الأحاديث من مصادرها وتحري تخريجها^(١).

ولكن ما أعنيه هنا تقسيم التناول في توجيه الدعاة بما يتوافق مع التقسيم المنهجي المتعارف عليه عند المتخصصين في علم الدعوة، من جوانب التبليغ والتعليم والتطبيق..

ومن الدراسات السابقة أيضاً ما يتعلق بفن التخطيط ومهاراته، وقد وجدت مجموعة من المقالات والدورات المتخصصة، ومنها: دليل التخطيط الإستراتيجي الإرشادي، لجانيت شابيرو، وهو كتاب موسع في فن التخطيط: ومجالاته وأبعاده، بصورة مجردة عن مجال الدعوة.

ومع وجود مثل هذه الدراسات القيمة والمفيدة التي استفدت منها واقتبست بعضاً من نصوصها فإنني لم أطلع على دراسة تعنى بالتخطيط والدراسات المستقبلية في سنة النبي صلى الله عليه وسلم في إطارها الدعوي التبليغي والتعليمي والتطبيقي، باعتبار ذلك وظيفة الدعوة التي أشارت إليها الكتب المنهجية لعلم الدعوة، ولذلك رأيت الكتابة في هذا الموضوع لبيان هذا

(١) انظر كتاب كيف نتعامل مع السنة، للدكتور القرضاوي، الصفحات: ٧٩- ٨٨.

الجانب في المنهج النبوي المعصوم من جهة، والتأسيس لمهارة من المهارات الدعوية وفن من فنونها المعتبرة، من جهة أخرى...

ومن هنا تبرز أهمية الموضوع وسبب الكتابة فيه، والتي يمكن أن أخصها فيما يلي:

- ١ - العمل على تفعيل دراسات السنة النبوية المشرفة في مجالات علم الدعوة إلى الله تعالى.
- ٢ - الإسهام في التأصيل العلمي والشرعي لمهارة التخطيط واستشراف المستقبل في فن الدعوة.
- ٣ - استثمار ما تنتجه العلوم والمعارف، والمهارات والقدرات الحياتية في خدمة الدعوة الإسلامية.
- ٤ - الاستفادة من التطبيقات والتجارب الدعوية للتخطيط واستشراف المستقبل من خلال السنة النبوية.
- ٥ - الإسهام في التبصير بمعلم من معالم البصيرة في الدعوة الإسلامية تحقيقاً للمصالح، ودفعاً للمفاسد.

وقد جاء هذا البحث الموجز، وفقاً للمخطط التالي:

- ١ - المقدمة: وفيها بيان لأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وهيكله، ومنهجية البحث.
- ٢ - التمهيد: وفيه تعريف بالمصطلحات، التخطيط، استشراف المستقبل، السنة النبوية، الدعوة.
- ٣ - المبحث الأول: علاقة علم الدعوة بالسنة النبوية، وفيه:
 - أ - المطلب الأول: أنواع الهدى النبوي: السنة، والسيرة.
 - ب - المطلب الثاني: طبيعة العلاقة بين السنة النبوية وعلم الدعوة.
 - ت - المطلب الثالث: تنوع مجالات التأسيسي الدعوي بالسنة النبوية.
- ٤ - المبحث الثاني: التخطيط الدعوي واستشراف المستقبل في السنة النبوية:

- أ - المطلب الأول: التخطيط واستشراف المستقبل في التبليغ.
- ب - المطلب الثاني: التخطيط واستشراف المستقبل في التعليم.
- ت - المطلب الثالث: التخطيط واستشراف المستقبل في التطبيق.
- ٥ - المبحث الثالث: قواعد ومرتكزات التخطيط الدعوي واستشراف المستقبل في السنة النبوية:

- أ - المطلب الأول: القواعد والمرتكزات الشرعية.
- ب - المطلب الثاني: القواعد والمرتكزات الفنية.
- ت - المطلب الثالث: مهارات التوفيق بين القواعد والمرتكزات الشرعية والفنية.
- ٦ - الخاتمة: وفيها ملخص البحث وأبرز نتائجه وتوصياته.
- ٧ - ثبت المراجع.

وقد نهجت في ذلك منهجاً استقرائياً تحليلياً عاماً لبعض النصوص والوقائع التي تبرز معلم التخطيط الدعوي المستقبلي في السنة النبوية، من مصادر الدين الإسلامي ومراجعته، وبعض مصادر المعرفة البشرية في مجال التخطيط والدراسات المستقبلية، مبيناً مكانة السنة النبوية بالنسبة لعلم الدعوة، ومبرزاً لجوانب تعدد مدارس التأسي بها، وواصفاً أشكال ومظاهر التخطيط المستقبلي في وظائف الدعوة التبليغية والتعليمية والتطبيقية، بصورة موجزة تتناسب مع طبيعة البحث، ومن ثم اقترحت بعض القواعد الشرعية والفنية والمهارية التي تبصر العمل الدعوي من خلال التخطيط المستقبلي في السنة النبوية المشرفة، ملتزماً بضوابط وقوانين البحث العلمي، من توثيق للنصوص، وبيان للمراجع، وما إلى ذلك من قواعد متعارف عليها.

وختاماً أسأل المولى عز وجل أن يكرمني بالتوفيق والسداد والقبول، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

التمهيد - بيان مصطلحات البحث، (التخطيط، استشراف المستقبل، السنة النبوية، الدعوة):

أولاً: (التخطيط): التخطيط - كما تشير كتب اللغة - هو رسم الطريق وكتابته، فقد جاء في لسان العرب: "الْحَطُّ الطَّرِيقَةُ الْمُسْتَطِيلَةُ فِي الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ حُطُوطٌ وَقَدْ جُمِعَ الْعَجَاجُ عَلَى أَحْطَاطٍ...، وَالْحَطُّ: الطَّرِيقُ، يُقَالُ: الرِّمُّ ذَلِكَ الْحَطَّ وَلَا تَظْلُمُ عَنْهُ شَيْئاً...، وَحَطَّ الْقَلَمُ أَيَّ كَتَبَ، وَحَطَّ الشَّيْءُ يَحْطُهُ حَطًّا كَتَبَهُ بِقَلَمٍ أَوْ غَيْرِهِ...، وَالتَّحْطِيطُ: التَّسْطِيرُ التَّهْذِيبُ..."^(١).

وأما في الاصطلاح: فقد عرف التخطيط بتعريفات متعددة بحسب طبيعة الموضوع الذي يتناوله، وقد جمع الأستاذ عبد المولى في كتابه التخطيط للدعوة عدداً من التعريفات، ثم خلاص إلى أن التخطيط هو: "النظر إلى المستقبل وإلى النتائج التي يرمي إلى بلوغها، ثم تحديد الوسائل والأساليب والأعمال التي يؤدي تنفيذها إلى بلوغ الغاية المرجوة...، ونستخلص من التعريفات السابقة: أن التخطيط يعني مرحلة التفكير والتنبؤ والتحليل التي تسبق القيام بأي عمل، وتتركز - أساساً - في اتخاذ القرارات المناسبة على أساس من الاختيار السليم بين البدائل المختلفة على ضوء المعلومات والظروف والإمكانات"^(٢).

ثانياً: (استشراف المستقبل): (الاستشراف): التطلع والنظر والتوقع لما هو آتٍ، فقد جاء في لسان العرب: "الشَّرْفَةُ أَعْلَى الشَّيْءِ...، الشَّرْفُ كُلُّ نَشْزٍ مِنَ الْأَرْضِ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى مَا حَوْلَهُ...، الشَّرْفُ: الْعُلُوُّ وَالْمَكَانُ الْعَالِي...، الْمُشْرِفُ الْمَكَانَ الَّذِي تُشْرِفُ عَلَيْهِ وَتَعْلُوهُ...، وَأَشْرَفَ لَكَ الشَّيْءُ أَمْكَكَ، وَشَارَفَ الشَّيْءُ دَنَا مِنْهُ وَقَارَبَ أَنْ يَظْفَرَ بِهِ...، وَالْأَسْتِشْرَافُ أَنْ تَضَعَ يَدَكَ عَلَى حَاجِبِكَ وَتَنْظُرَ، وَأَصْلُهُ مِنَ الشَّرْفِ الْعُلُوِّ، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ؛ فَيَكُونُ أَكْثَرَ لِإِدْرَاكِهِ...، التَّشْرِيفُ لِلشَّيْءِ؛ التَّطَلُّعُ وَالنَّظَرُ إِلَيْهِ، وَحَدِيثُ النَّفْسِ وَتَوَقُّعُهُ..."^(٣).

(١) لسان العرب لابن منظور، ج ٢، ص ١١٩٨.

(٢) بحث التخطيط للدعوة الإسلامية، مقدم من الطالب: عبد المولى الطاهر المكي، ص ٦-٧.

(٣) لسان العرب لابن منظور، ج ٤، ص ٢٢٤١ - ٢٢٤٤.

و(المستقبل): ما يحدث بعد الزمن الحاضر، جاء في كتاب التعريفات:
"المستقبل ما يتربح وجوده بعد الزمن الحاضر؛ سمي به لأن الزمان
يستقبله" (١).

ومن خلال ما سبق نتبين أن مفهوم استشراف المستقبل متوافق مع
مفهوم الدراسة المستقبلية، وقد ظهر التعريف بدراسة حديثة عن الدراسات
المستقبلية وأهميتها في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك في عدد من المواقع
الإسلامية ذات الاهتمام، وجاء في هذه الدراسة تعريف الدراسات المستقبلية
بأنها: "جهدٌ علميٌّ مُنظَّم، يَسعى إلى تحديدِ احتمالاتٍ وخياراتٍ مختلفةٍ
مشروطةٍ لمستقبلِ قضيةٍ، أو عددٍ من القضايا، خلالَ مدّةٍ مستقبليةٍ محددةٍ،
بأساليبٍ متنوعةٍ، اعتماداً على دراساتٍ عن الحاضرِ والماضي، وتارةً بابتكارِ
أفكارٍ جديدةٍ منقطعةٍ الصلةِ عنهما" (٢).

ثالثاً: (السنة النبوية): السنة في اللغة: "السيرة، حسنة كانت أو
قبيحة" (٣)، و"الطريقة، مرضية كانت أو غير مرضية، والعادة" (٤)، وبنسبتها
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يكون معناها سيرته وطريقته وهديه
وعادته عليه الصلاة والسلام، وأريد بها - هنا - التعريف الاصطلاحي لها،
عند المحدثين باعتبار نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وعند الأصوليين
باعتبارها مصدراً من مصادر الدعوة ودليلاً من أدلته، فعند المحدثين يراد بها
كما جاء في الأنوار الكاشفة: "السنة تطلق - في الأكثر - على ما أضيف إلى
النبي من قول أو فعل أو تقرير" (٥)، وأضاف بعضهم صفة النبي صلى الله
عليه وسلم، كما جاء في شرح المنظومة البيقونية: "كل ما يضاف إلى النبي -
عليه الصلاة والسلام - من قول أو فعل أو تقرير أو وصف" (٦)، وعند

(١) التعريفات، للجرجاني، ج ١، ص ٦٥٤.

(٢) بحث الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية، لعبدالله بن محمد المديفر.

(٣) لسان العرب لابن منظور، ج ٣، ص ٢١٢٤.

(٤) التعريفات، للجرجاني، ج ١، ص ١٦٢، وبنسبتها إلى رسول الله

(٥) الأنوار الكاشفة، لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ج ١، ص ١٩.

(٦) شرح المنظومة البيقونية، لعبد الكريم بن عبد الله الحُضَيْر، ص ٣٩.

الأصوليين هي: "ما صدر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من غير القرآن - من قول أو فعل أو تقرير" (١).

رابعاً: (الدعوة): الدعوة في اللغة: "الطلب، يقال: دعا بالشيء: طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء: حثه على قصده" (٢)، وأما الدعوة في الاصطلاح: فقد عرفت بتعريفات متنوعة، وذلك بحسب المآخذ الذي نظر إليه من عرفها به (٣)، فنجد بعض من عرفها نظر إليها من حيث ما تدعو إليه، وهو الدين أو الرسالة، كما فعل ذلك الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - (٤)، وتوجهت بعض التعاريف للدعوة إلى الوظيفة التي يقوم بها الداعية، مقتبسة ذلك من وصف الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾ (الجمعة، ٢)، كما عرفها بذلك فضيلة الأستاذ الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني - حفظه الله - بقوله: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة" (٥).

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، ج ١، ص ٩٥.

(٢) المعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٨٦، مادة: دعو.

(٣) انظر خصائص الدعوة الإسلامية، لمحمد أمين حسن، ص ١٥ - ٢١.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد قاسم، ج ١٥، ص ١٥٧ - ١٥٨.

(٥) المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتح البيانوني، ص ١٧.

المبحث الأول

علاقة علم الدعوة بالسنة النبوية

يعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة مصدرين من مصادر التشريع الإسلامي، لا غنى لأي علم من العلوم الإسلامية عنهما، والمتخصص في علم الدعوة، يقرأ السنة قراءة خاصة يستقي من خلالها أصول الدعوة وقواعدها، ومن خلالهما يتبين مناهج الدعوة وخطتها، وطرقها وأدواتها، وبها تنضبط معاييرها وحدودها...؛ ليتشكل من مجموع القراءات مادة معرفية عظيمة، تؤكد شمول الرسالة الخاتمة وخلودها.

وقد تعددت أساليب الدعاة إلى الله تعالى في قراءتهم لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتفعيل علم الدعوة وتعزيزه^(١)، ويمكنني هنا أن أضع أطرا لتنوع مناهج قراءة السنة النبوية بروح الداعية، يمكن للدعاة إلى الله تعالى التنبيه إليها والإفادة منها^(٢)، وهي: القراءة الوعظية، والقراءة اللفظية، والقراءة الموضوعية، والقراءة المنهجية السننية.

أما القراءة الوعظية: فهي قراءة السنة النبوية المشرفة باعتبارها وسيلة من وسائل الدعوة، يتم الحديث عن فضلها وأهميتها، ومكانتها ورتبتها، وعرض نصوص وأحداث ووقائع منها للعبارة والعظة، والترغيب والترهيب، والقصص والإعجاز فيها، وهكذا...، وأما القراءة اللفظية: فمنها القراءة الكلية أو الجزئية، بحيث يتم اختيار باب من أبواب كتب الحديث، أو يتم تحديد حديث خاص، أو جزء من حديث، ليكون ما تم اختياره محور التحليل والدراسة، ويتم من خلال ذلك استنباط القواعد والأصول، والمناهج والأساليب، والوسائل والأدوات، لعلم الدعوة، كمن تناول حديث الإنكار عن المنكر ودرجاته المتنوعة، أو غيره من الأحاديث...

(١) انظر مسودة بحث قراءة القرآن الكريم والسنة النبوية بروح الداعية، لمحمد أبو الفتح البيانوني.

(٢) تم تقرير موضوع قراءة السنة بروح الداعية في مركز إعداد الدعاة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، ضمن مادة الدعوة.

وأما القراءة الموضوعية: فمنها - أيضاً - الكلي والجزئي، بحيث يتم اختيار موضوع من الموضوعات الدعوية العامة أو الخاصة، ومن ثم عرضه على النصوص الشرعية، وتأصيله، ووضع الأطر والقواعد له، وتحديد المعايير والضوابط الخاصة به، والأشكال والمظاهر المنبثقة عنه، كمن كتب عن أركان الدعوة، أو خصائصها، أو بعض من مناهجها وأساليبها ووسائلها، أو نماذج من تاريخها وقصصها...، أو اختار جزئية من الجزئيات الدعوية، كالحديث عن الصبر في الدعوة - مثلاً - باعتباره وسيلة معنوية، فاستدل له وبين أهميته وفضله وآثاره...، وهكذا...، وأما القراءة السننية: فهي الاستقراء العام لمنهجية سير الدعوة الخاتمة، في ظروفها المختلفة، ومراحلها المتعددة، ومحطاتها المتنوعة، لكشف بعض السنن والقوانين التي سنّها الله تعالى في خلقه، ومن ثم استنباط مناهج للدعوة يمكن من خلالها استشراف معالم الطريق، وترشيد الحراك الدعوي...

وفي هذا البحث الموجز سأعرض بإذن الله تعالى لنماذج من السنة النبوية المشرفة تبين التخطيط المستقبلي في الدعوة إلى الله جل شأنه، من خلال وظائف الدعوة التبليغية والتعليمية والتطبيقية، وذلك في مطالب ثلاثة، أما المطلب الأول: ففيه بيان أنواع الهدى النبوي: السنة، والسيرة، وأما المطلب الثاني: ففيه بيان طبيعة العلاقة بين السنة النبوية وعلم الدعوة، وأما المطلب الثالث: ففيه بيان تنوع مجالات التأسّي الدعوي بالسنة النبوية.

المطلب الأول

أنواع الهدى النبوي: السنة، والسيرة

إن الهدى النبوي الذي كلفنا الله تعالى بالاعتداء به يشمل السنة المشرفة والسيرة المطهرة، فرسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين كمال الرسالة الربانية وكمال الشخصية البشرية، ولا يمكن الفصل بين الصفتين، فما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي من عند الله تعالى، قال جل شأنه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣-٤)، وَعَنْ الْمَقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ

يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي - وَهُوَ مُتَكَيٌّ عَلَى أَرِيكَتِهِ^(١) - فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَخْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ^(٢).

وقد أمرنا رب العزة والجلال بأخذ ما جاء به رسولنا صلى الله عليه وسلم، فقال سبحانه: ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحُذُّوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَأَنْهَوْا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر: ٧)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)^(٣)، قال الإمام الشاطبي -رحمه الله-: "تعريف القرآن بالأحكام الشرعية أكثره كلي لا جزئي، وحيث جاء جزئياً فمأخذه على الكلية، إما بالاعتبار، أو بمعنى الأصل، إلا ما خصه الدليل، مثل خصائص النبي صلى الله عليه وسلم، ويدل على هذا المعنى بعد الاستقراء المعتبر أنه محتاج إلى كثير من البيان، فإن السنة على كثرتها، وكثرة مسائلها إنما هي بيان للكتاب...، قال الله تعالى: ﴿...وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل، ٤٤)"^(٤).

والسيرة النبوية المطهرة تُعدُّ تطبيقاً عملياً للتشريع الإسلامي، ومظهراً مشاهداً من مظاهر تفاعل الشخصية النبوية البشرية الكاملة مع الرسالة الإسلامية الربانية الخاتمة، والداعية الحكيم يتقصى سيرة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويدرسها دراسة علمية تحليلية، يستنبط من خلالها قواعد ومبادئ لدعوته، ويبني عليها ويقيس ما يستجد له في الحياة على ما وجد في سيرة

(١) الأريكة: مقعد منجد، المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٤، مادة أرك.

(٢) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم، حديث: ٢٥٨٨. وَقَالَ عَنْهُ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب السنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث ٦٧٤٤.

(٤) الموافقات، المجلد الثاني، ج ٣، ص ١١٦.

نبيه صلى الله عليه وسلم، وإن لم يجد ما يشابه المستجدات اجتهد فيها بما استخرجه من قواعد عامة استنبطها من سيرته عليه الصلاة والسلام - إن كان من أهل الاجتهاد - أو عرضها على غيره من الدعاة المؤهلين للاجتهاد ليستفيد من اجتهاداتهم، اتباعاً لمنهج الصحابة رضي الله عنهم، فعن عبيد الله بن أبي بريدة قال: كان ابن عباس رضي الله عنهما، إذا سئل عن شيء فكان في كتاب الله قال به، فإن لم يكن في كتاب الله وكان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيء قال به، فإن لم يكن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيء قال بما قال به أبو بكر و عمر، فإن لم يكن لأبي بكر و عمر فيه شيء قال برأيه" (١).

فالنبي صلى الله عليه وسلم مبلغ بفعله كما هو مبلغ بقوله، قال الشاطبي - رحمه الله - في أثناء حديثه عن ضرورة موافقة عمل المفتي لقوله: "والثاني ما يقتضيه كونه - أي النبي صلى الله عليه وسلم - أسوة يُقتدى به، ومبعوثاً لذلك قصداً، وأصله قول الله تعالى: ﴿...فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِيَكُنْ لَكَ آيَةً﴾ (الأحزاب: ٣٧)، وقال قبل ذلك: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾ (الأحزاب: ٢١)،... والتأسي: إيقاع الفعل على الوجه الذي فعله،... ولذلك جعل الأصوليون أفعاله في بيان الأحكام كأقواله... (٢). ولهذا وجب التأسي والافتداء النظري والعملي والتطبيقي بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ مما يستدعي وجود منهج متوازن يحسن الفهم والاستنباط، ويجيد التحليل والدراسة، ويفقه الأخذ والاتباع، حتى يبلغ رتبة الرشاد في تلمس هدي النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ...﴾ (يوسف: ١٠٨).

(١) المستدرک، للحاکم، فصل في توقير العالم، حديث ٤٣٩، وقال عنه: صحيح على

شرط الشيخين وفيه توقيف ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) الموافقات، المجلد الثاني، ج ٤، ص ١٤٢.

المطلب الثاني

طبيعة العلاقة بين السنة النبوية وعلم الدعوة

إن علم الدعوة علم متخصص في الأصول والقواعد، والمناهج والأساليب والوسائل، في تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه لهم، وتطبيقه في واقع حياتهم، فهو علم يغلب عليه التعامل مع المناهج والخطط، والطرق والكيفيات، والأدوات والمعدات، التي يمكن من خلالها تفعيل التعليمات والبيانات والحقائق التي شرعها الله تعالى، وطلب إلى رسوله صلى الله عليه وسلم تبليغها وتعليمها وتطبيقها في واقع الحياة، تحقيقاً للخلافة التي جعلها الله تعالى وظيفة الإنسان في هذا الوجود.

ومادة الدعوة إلى الله تعالى وموضوعها: رسالة الإسلام بما حوته من عقائد وشرائع وأخلاق، كما أن طريق الدعاة إلى الله تعالى المنهجي مستنبط من سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، الداعي إلى الله تعالى على بصيرة، وعليه فإن السنة النبوية المشرفة تُعدُّ مصدراً من مصادر علم الدعوة، وأصلاً ودليلاً من أدلته، ومضموناً من مضامين موضوعه...، كما تعتبر ضابطاً ومقوماً للجهود الدعوية المتنوعة، والمسيرة الحركية المتطورة، تقاس بها الأقوال والأعمال الاجتهادية للدعاة إلى الله تعالى، ويمكن من خلالها معرفة الصواب من الخطأ، والهدى من الضلال، قال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩)، وَعَنْ الْعُرْبَاخِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: (...فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، غَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)^(١).

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في الأخذ بالسنة، حديث ٢٦٠٠، وقال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح.

المطلب الثالث

تنوع مجالات التأسي الدعوي بالسنة النبوية

أرسل الله تعالى رسوله بالهدى ودين الحق الذي شمل جميع نواحي الحياة ومجالاتها، قال تعالى: ﴿...مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾ (الأنعام، ٣٨)، فجاءت سنة النبي صلى الله عليه وسلم منهجاً للحياة، يسعد بها من تتبعها واقتفى أثرها، ويشقى من تركها وأعرض عنها، قال جل وعلا: ﴿...فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۚ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمًى﴾ (طه، ١٢٣ - ١٢٤)، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله سلم يجمع في هديه وسنته مواصفات الرسول الأمين، والإنسان الكامل، والإمام العادل، والقائد الحكيم، والقاضي المنصف، والمفتي السديد، والداعية البصير، فقد تنوعت مجالات التأسي والاقتداء به صلى الله عليه وسلم، وتعددت أبواب الإرث عنه عليه الصلاة والسلام، وتباينت أنصبه المؤمنين في إرثهم من علمه الوفير، فعن أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (﴿...وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَبْطٍ وَافِرٍ﴾^(١)).

فحُسن فهم السنة والسيرة، ووضع الأمور في نصابها، يضيفي على السنة المحمدية جمالاً وكمالاً، ويضمن سلامتها واستمرار عطائها، والجهل بأبعاد السنة والسيرة الزمانية والمكانية، والكلية والجزئية، والتشريعية وغير التشريعية، يشوه من تلك الصورة المشرقة، ويضعف فاعليتها مع تقدم الزمان وتنوعه، واختلاف المكان وتغيره، قال الشيخ القرضاوي -حفظه الله- في معرض حديثه عن ضوابط للتعامل السليم مع السنة النبوية المشرقة: "أن

(١) سنن أبي داود، باب الحث على طلب العلم، حديث ٣١٥٧، وقال عنه العجلوني: وصححه ابن حبان، والحاكم، وغيرهما، ولذا قال الحافظ: له طرق يعرف بها أن للحديث أصلاً، كشف الخفاء، ج ٢، ص ٦٤.

يحسن فهم النص النبوي، وفق دلالات اللغة، وفي ضوء سياق الحديث، وسبب وروده، وفي ظلال النصوص القرآنية والنبوية الأخرى، وفي إطار المبادئ العامة، والمقاصد الكلية للإسلام، مع ضرورة التمييز بين ما جاء منها على سبيل تبليغ الرسالة، وما لم يجئ كذلك...، وما كان من التشريع له صفة العموم والدوام، وما له صفة الخصوص أو التأقيت، فإن من أسوأ الآفات في فهم السنة خلط أحد القسمين بالآخر^(١).

وقد اجتهد العلماء الكرام - قديماً وحديثاً - في تحديد قواعد يعرف بها إطار السنة النبوية وبعدها التشريعي، لتحديد زاوية الاتباع والتأسي بأبعادها المتنوعة، وكان من العلماء القدماء الذين أشاروا إلى هذه الفروق، الإمام القرافي - رحمه الله -، حيث قال في إجابته عن السؤال الخامس والعشرين: "أن تصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتيا: هو إخباره عن الله تعالى بما يجده في الأدلة من حكم الله تبارك وتعالى...، وتصرفه صلى الله عليه وسلم بالتبليغ هو مقتضى الرسالة...، وأما تصرفه صلى الله عليه وسلم بالحكم فهو مغاير للرسالة والفتيا؛ لأن الفتيا والرسالة تبليغ محض، واتباع صرف، والحكم إنشاء وإلزام من قبله صلى الله عليه وسلم بحسب ما يسنح من الأسباب والحاج...، وأما النبوة: فكثير من الناس من يعتقد أنها عبارة عن مجرد الوحي من الله تعالى للنبي، وليس كذلك، بل قد يحصل الوحي من الله تعالى لبعض الخلق من غير نبوة، كما كان الوحي يأتي مريم ابنة عمران رضي الله عنها، مع أن مريم رضي الله عنها ليست نبيّة على الصحيح... ولذلك قال العلماء: كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا، لأن كل رسول كلف تكليفاً خاصاً به وهو تبليغ ما أوحى إليه، فظهر الفرق بين النبوة والرسالة والفتيا والحكم. وأما تصرفه صلى الله عليه وسلم بالإمامة: فهو وصف زائد على النبوة والرسالة والفتيا والقضاء؛ لأن الإمام هو الذي فوضت إليه السياسة العامة في الخلائق، وضبط معاهد المصالح، ودرء المفاسد، وقمع الجناة، وقتل الطغاة، وتوطين

(١) كيف نتعامل مع السنة النبوية، للدكتور يوسف القرضاوي، ص ٤٤ - ٤٥.

العباد في البلاد، إلى غير ذلك مما هو من هذا الجنس..."^(١). ثم ذكر نتائج بديعة في تقدير ضوابط الاتباع والاقتداء.

كما تعددت الكتب الحديثة التي تتناول هذا الموضوع، فكان منها: ما نشرته سلسلة التنوير، حيث قال الدكتور محمد عمارة - حفظه الله - في مقدمة الكتاب: "ميدان التمييز في العلم النبوي - أي السنة النبوية - بين ما هو تشريع - في العبادات والمعاملات - وبين ما هو غير تشريع - من العادات وطرائق العيش وثقافة واقع عصر النبوة... والنصيحة.. والحمل على الأكمل.. وأنماط الحياة.. وهو ميدان يشيع الجهل بحقائقه لدى جمهور غفير من المثقفين، فضلاً عن غير المثقفين!.

فالسنة النبوية هي قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وإقراره.. لكن.. أي هذه السنة هو الحجة في التشريع، والبيان للقرآن الكريم؟.. وأيها يدخل في العادات وطرائق العيش وثقافة العصر النبوي والسياسة المتغيرة بتغير المقاصد الشرعية والمصالح الشرعية المعتمدة، فلا تعد ديناً، ولا حجة في الشريعة ولا مصدراً للتشريع؟.. تلك هي القضية التي تتوافر على بيانها دراسات هذا الكتاب"^(٢)، غير أن هذا الكتاب رغم إشارته في بعض المواضع إلى أهمية الاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم في التبليغ للرسالة، إلا أنه لم يتطرق إلى الإرث الدعوي المختص باستخلاص المناهج الدعوية من سنة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، والتي تمثل مظاهر عامة لتفاعل كمال الرسالة الخاتمة، مع كمال الرسول الخاتم، مما نشأ عنه مناهج كلية، وأطر عامة، وقواعد جامعة، تمثل أساساً مرجعياً للعمل الدعوي، ومعلماً من معالم البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى، ومعياراً حاكماً لجهود ورث النبوة من الدعاة والمصلحين على اختلاف مناهجهم وأساليبهم ووسائلهم...

وفي هذا الإطار يمكن معرفة مكان التخطيط والنظرة المستقبلية في السنة

(١) الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، للإمام القرافي، ٩٩-١٠٥.

(٢) السنة التشريعية وغير التشريعية، لمحمد الطاهر بن عاشور، وعلي الخفيف، ومحمد سليم العوا، ومحمد عمارة، سلسلة في التنوير الإسلامي، العدد ٥٦، ص ٤.

النبوية الخاتمة، باعتباره أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، تتنوع كميّاته، وتتعدّد وسائله، في مجالات الدعوة التبليغيّة والتعليميّة والتطبيقيّة، كما يمكن بهذا التفريق ملاحظة سعة نطاق قراءة السنة النبويّة المشرفة من زاوية التخطيط والدراسات المستقبلية، إذ يمكن تخصيص كل جانب من الجوانب المجتمعة في رسول الله صلى الله عليه و على آله وسلم بدراسة خاصّة، سواء من حيث الموضوع والمجال، أو من حيث الصفة التي يتصف بها، فتستنبط من خلالها مظاهر التخطيط و الدراسات المستقبلية، وتحلّل قواعدها ويميّز بين الثابت القطعي وبين المتغير الظني منها، وهكذا...

المبحث الثاني

التخطيط الدعوي واستشراف المستقبل

في السنة النبوية

من المتطلبات التي يتوجب على الدعاة إلى الله تعالى التنبه إليها عند تعاملهم مع السنة النبوية المشرفة دراسة وتحليلاً: التنبه إلى المنهجيات الكلية، والقواعد العامة، للمسيرة النبوية، ومن ثمّ التعمق في جزئياتها وفروعها المتنوعة، وتطبيقاتها وفعاليتها المختلفة...، ومن هنا فقد رأيت من المناسب في هذا العرض الموجز عن التخطيط واستشراف المستقبل في السنة النبوية المشرفة أن أتطرق في مقدّمة هذا المبحث إلى الخطوط العريضة للتخطيط والرؤية المستقبلية في السنة النبوية كإطار عام لما سيتم تناوله في مطالب المبحث المتعلقة بالتبليغ والتعليم والتطبيق.

أما الأمر الأول: فهو متعلّق بالنبي الكريم والرسول الأمين الذي اختاره الله تعالى ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين، وقد أخبرنا رب العزة والجلال أنّه يصطفي رسله اصطفاءً، فقال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مَنِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (الحج، ٧٥)، وعن واثلة بن الأسقع قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي

هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ^(١)، وهذا الاصطفاء يشير إلى ما تميزت به شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم البشرية التي اصطفاه الله تعالى بعد أن رعاها وهياها، فلم تنقطع عناية الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم منذ ولادته وتسميته حتى نشأته وشبابه، ثم بعثته إلى الناس، وأمره بالبلاغ المبين، وحفظه من كيد الكائدين، قال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾ (المائدة، ٦٧)، وعليه فإن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم مؤهلة لخوض مجال التخطيط والنظر المستقبلي، لما جمع لها من الرعاية والعناية والاصطفاء، حتى بلغ من الكمال البشري ذروته، فمن نظر إلى شخصيته عليه الصلاة والسلام ودرسها وفقاً للمعايير البشرية ظهر له هذا الكمال والجمال، كما ظهر ذلك لبعض المنصفين من غير المسلمين، وكان منهم: مايكل هارت، حيث خص النبي صلى الله عليه وسلم بالمرتبة الأولى في كتابه عن أفضل العظماء في تاريخ الإنسانية^(٢)، كيف لا وقد أوتي الكمال البشري، واصطُفي من البشر اصطفاء، صلى الله عليه وسلم، فهو الداعية الأول إلى رسالة الإسلام الخاتمة، وهو القدوة المطلقة، والشخصية المعصومة المسددة.

وأما الأمر الثاني: فهو كمال الرسالة الإسلامية الخاتمة، التي خصها الله تعالى بالتمام والكمال والشمول والعالمية، فقال جل وعلا: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ (المائدة، ٣)، وعن العرياض بن سارية رضي الله عنه، قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك...) (٣).

-
- (١) صحيح مسلم، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم، حديث ٤٢٢١.
(٢) انظر كتاب المئة الأوائل، لمايكل هارت، ترجمة خالد أسعد عيسى، وأحمد غسان سبانو، كيف لا وقد أوتي الكمال البشري، واصطُفي من البشر اصطفاء، صلى الله عليه وسلم، مسند الإمام أحمد، باب حديث العرياض بن سارية، حديث ١٧١٨٢، ورمز السيوطي (٣)

وبهذا كانت الرسالة المحمدية منهجاً عاماً للحياة في كل أمر من أمورها المادية والمعنوية، والدنيوية والأخروية، وقد وسع بعض المفكرين مفهوم الحديث المشهور: (مَنْ يُرِدِ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ...) (١)، فقال الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري -رحمه الله-: "فليس الفقه في الدين المقصود في الآيات والأحاديث السالفة بفقه العقائد والأحكام والمعاملات... بل هو كلية أكبر دلالة من جزئياتها... إنه فقه الحياة، كل الحياة، إنه الفقه الحضاري..." (٢).

وأما الأمر الثالث: فهو ما يتعلق بوضوح وظيفة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وواجبه الرسالي نحو الدين الكامل الشامل التام، فقد بين الله تعالى ذلك في كتابه العزيز فقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة، ٢)، فكانت جهوده عليه الصلاة والسلام متوجهة نحو تبليغ الرسالة وتعليمها للناس وتطبيقها في واقع الحياة.

وأما الأمر الرابع: فهو تحديد الشريعة المستهدفة، والجمهور المعني بهذه الرسالة وهم الناس جميعاً، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ، ٢٨)، وعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً) (٣).

= رحمه الله إلى صحته، الجامع الصغير من حديث البشير النذير، للسيوطي، باب حرف القاف، حديث ٦٠٩٦.

- (١) صحيح البخاري، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، حديث ٦٩.
- (٢) وسطية الإسلام وأمثه في ضوء الفقه الحضاري، عمر بهاء الدين الأميري..
- (٣) صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا...)، حديث ٢٣٢.

وأما الأمر الخامس: فهو ما حوته رسالة الإسلام الخاتمة من مغيبات علم الله التام والكامل والمحيط بما سبق وبمن سبق، وكشف ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم على صورة سنن كونية، وحقائق قدرية، تارة بعرض القصص، وتارة ببيان العبر المباشرة، قال جل شأنه: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف، ١١١).

وأما الأمر السادس: فهو بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بين قومه، الذين عرفهم وعرفوه، وخبرهم وخبروه، وعلم طبائعهم ومواصفاتهم، وكفاءاتهم وقدراتهم، فتهيأت له القدرة على إدارة هذه الكفاءات وتوجيهها وحسن توظيفها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ...﴾ (آل عمران، ١٦٤).

وأما الأمر السابع: فهو عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وعناية الله تعالى به تسديداً وتوجيهاً وتسلياً وتمكيناً، قال تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) (النجم، ٣-٤)، وهذا المفهوم يجعل من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وحدة كلية متجانسة؛ حيث يمكن من خلال بعض الآيات القرآنية استنباط الهدى النبوي في التفاعل معها، ورسم معالم المنهج المحمدي بتتبعها، كآيات مشروعية القتال وتحريم الخمر وغيرها.

وبهذا اجتمع للنبي صلى الله عليه وسلم مرتكزات التخطيط واستشراف المستقبل بكل أبعادها ومجالاتها، من كمال الرسالة الربانية، وكمال الشخصية البشرية، قال جل شأنه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف، ١١٠)، وعليه فلا تنفصل المواقف النبوية عن الآيات القرآنية، لما بينهما من ترابط وانسجام، كما اجتمع له صلى الله عليه وسلم وضوح الوظيفة المؤمن عليها، ووضوح الشريحة المستهدفة في دعوته، إضافة إلى

ثروة عظيمة من التجارب السابقة المعروضة في سياق القصص القرآني، وخبرته بقومه الذين بعث فيهم نبياً ورسولاً صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى العناية الربانية المسددة، ومن هنا كان التفوق والنجاح، والإنجاز والإبداع، سمة من سمات النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث أحاط بما يحتاج إليه من تاريخ السابقين، وأحسن التفاعل مع الواقع والحاضر الذي يعيشه، واستشرف المستقبل المنظور بخبرة وبصيرة؛ حتى تحقق له ما يريد، من تمام البلاغ والتعليم والتطبيق، وتأسيس الأرض الصلبة للدين، ونشر الهداية للعالمين، حتى أتاه اليقين.

ويلاحظ - هنا - أيضاً أن التخطيط النبوي في الدعوة إلى الله تعالى كان مرتبطاً بالواقع الذي يعيشه النبي صلى الله عليه وسلم، من حيث الظروف والإمكانات، ومن حيث الأدوات والمهارات، التي توافرت للنبي صلى الله عليه وسلم، فدراسة التخطيط الدعوي والنظرة المستقبلية في السنة النبوية يجب أن توازن بين البعد المنهجي العام الذي يؤكد على أهمية التخطيط وضرورته، والبعد التفصيلي الجزئي الذي يرسم معالم التخطيط وتفصيلاته وجزئياته المتنوعة والمتغيرة، المرتبطة بالواقع، إذ يمكن من خلال ذلك استنتاج قواعد تتناسب مع المتغيرات الواقعية وفق الاعتبارات المهنية للتخطيط التفصيلي أو التنفيذي، ومن هنا كان طابع الدعوة في العهد المكي وملامحها العامة مختلفاً عن العهد المدني وملامحه العامة؛ لتناسب كلا العهدين مع طبيعة الزمان والمكان، وأبعادهما الجديدة والحديثة، مما يشكل بمجموعه صورة متكاملة ومتراصة، يمكن من خلالها استنباط القواعد الفنية والحركية للتخطيط والنظرة المستقبلية في السنة النبوية، والتي تجاوزت حدود التخطيط المرحلي الجزئي إلى البعد الإستراتيجي بعيد المدى للتخطيط الكامل، مع العمل على تفعيل التخطيط الجزئي التنفيذي قصير المدى في إطار التخطيط الإستراتيجي الشامل بكل انسجام ووضوح رؤية، وقناعة وثبات.

المطلب الأول

التخطيط واستشراف المستقبل في التبليغ

بالنظر إلى وظيفة البلاغ في سنة النبي صلى الله عليه وسلم يمكننا استنتاج وعي النبي عليه الصلاة والسلام بمعالم التخطيط واستشراف المستقبل، وحسن توظيفه لها في تبليغه للدين حتى أتمه الله له.

ومن المناسب هنا: أن أقسم معالم التخطيط واستشراف المستقبل في وظيفة التبليغ الدعوية إلى ثلاثة أقسام من حيثيات ثلاث: من حيث الإمكان والقدرة، ومستوياتها النظرية والعملية، ومن حيث الشريحة المستهدفة وخصائصها، الثقافية والعمرية والجنسية والفئوية، ومن حيث الموضوع وطبيعته العلمية أو العملية.

أ - ملامح التخطيط واستشراف المستقبل في التبليغ من حيث الإمكان والقدرة، ومستوياتها النظرية والعملية، الذاتية والعامّة: مع تباين الظروف الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، من حيث الإمكانيات المتوافرة لديه، والأدوات المتاحة له، والكفاءات المهيأة لتوجيهها، إضافة إلى الظروف العامة الخاصة بالمجتمع المكي ثم المدني، ثم العالمي، فقد تنوعت وتعددت خطوات البلاغ النبوي للدين الإسلامي، وفق رؤية دقيقة وسديدة، تؤكد تلك المقدمات العامة التي ذكرتها في مقدمة هذا البحث، وتوضح مدى تناسق الأعمال التنفيذية مع الطابع العام للخطة الإستراتيجية الشاملة، والمستشفرة للمستقبل، فقد بدأ بالاستعداد الذاتي كما جاء الحديث المشهور عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: (أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ جِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لِدَلِكْ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى حَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ جِرَاءٍ...) (١).

(١) صحيح البخاري، باب بدء الوحي، حديث ٣.

ثم توسع النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة الأقرب فالأقرب، لأنهم أقرب الناس إليه، وأكثرهم علماً به، وألصقهم بسيرته ومسيرته، فهم السند الداخلي، والنواة الأولى، والقاعدة المهمة، بهم يأنس، وفيهم يؤسس، وعليهم يعتمد، فأمن له زوجه خديجة، وصديقه أبو بكر، وصغيره علي رضي الله عنهم جميعاً، حتى انتقل إلى دعوة أهل مكة الأقربين، الذين خبروه وخبرهم، فكان رسولاً من أنفسهم، ورجلاً من قومهم، فصعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا وجعل ينادي: (إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)^(١)، قال ابن هشام - رحمه الله -: "وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين...."^(٢)

ولما اشتد أذى مشركي مكة، أوجد النبي صلى الله عليه وسلم الحلول المؤقتة له ولمن تبعه، فأذن بالهجرة إلى الحبشة، والتخفي، والتحمل، والصبر على الأذى، واستثمر كل فرصة متاحة للبلاغ وبادر إليها مع قومه وعشيرته، وفي الوقت ذاته حاول عرض دعوته على الوفود الزائرة، والبلاد المجاورة، حتى هياً الله تعالى له قوماً أحبهم وأحبوه، فأمنوا به وعزروه ونصروه، فكانت بيعة العقبة، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: خرجنا إلى الحج، فواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق...، فقال: (أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم)، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم...^(٣).

وبعد أن استقر للنبي صلى الله عليه وسلم الأمن الداخلي، وأسس دولة الإسلام في المدينة المنورة، توسع في تحقيق عالمية البلاغ المبين، فأرسل الرسل والرسالات إلى الملوك والقيصرة، فكانت لهم مواقف متعددة بين القبول

(١) صحيح البخاري، باب وأندر عشيرتك الأقربين، حديث ٤٣٩٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ج ١، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٣) مسند الإمام أحمد، باب حديث كعب بن مالك، حديث ١٥٨٣٦، قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع، مجمع الزوائد، للهيثم، باب ابتداء أمر الأنصار، حديث ٩٨٨١.

والرفض، ومن ذلك ما جاء في حديث أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّامِ إِذْ جِيءَ بِكِتَابٍ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هِرْقُلَ. قَالَ: وَكَانَ دُخِيَّةُ الْكَلْبِيِّ جَاءَ بِهِ، فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمٍ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ عَظِيمٌ بُصْرَى إِلَى هِرْقُلَ...^(١)، كما واصل النبي صلى الله عليه وسلم البلاغ العالمي عبر السرايا والغزوات، إلى أن فتح الله تعالى العالم أمام دعوته، وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجا...

ب - ملامح التخطيط واستشراف المستقبل في التبليغ من حيث الشريعة المستهدفة وخصائصها، الثقافية والعمرية والجنسية والفئوية: يلاحظ منذ بدايات البعثة النبوية المشرفة اهتمام النبي عليه الصلاة والسلام بمختلف الشرائع البشرية، واستيعابها لها في دعوته المباركة، ومن هنا كان التنوع الجميل في إسلام شرائح متنوعة من الناس في مطلع دعوته عليه الصلاة والسلام، قال ابن كثير رحمه الله عند جمعه بين الأقوال في أول الناس إسلاما: "أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الموالى زيد بن حارثة، ومن الغلمان علي بن أبي طالب. رضى الله عنهم أجمعين"^(٢).

ويؤكد على هذا الاستيعاب والشمول في البلاغ النبوي تنوع الأحاديث النبوية الشريفة التي تخص بعض الشرائع بتوجيهها المباشر، لما قد يترتب عليه من آثار مستقبلية تنبه إليها، فراعى أفهام الناس، حيث قال لمُعَاذُ: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: إِذَا يَتَكَلَّمُوا)^(٣)، كما وجه نداء للشباب القادر على الزواج لتحسينه، فقال: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ

(١) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، لمحمد عبد الباقي، باب كتاب

النبي صلى الله عليه وسلم، ج ١، ص ٥٦٥.

(٢) السيرة النبوية، لابن كثير، ج ١، ص ٤٣٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص في العلم قوما دون قوم كراهية أن لا

يفهموا، حديث ١٢٥.

لَهُ وَجَاءَ^(١)، ووجه خطاباً للنساء يحثهم على الصدقة، فَقَالَ: (يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أُرَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ) فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعُسَيْرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتٍ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ...) ^(٢).

كما وجه رسالة للأقارب والأرحام فقال: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِينِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً) ^(٣)، ووجه أمراً للسادة والمسؤولين بأهمية العناية بالعاملين تحت أيديهم، فقال: (إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تَكْلَفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ) ^(٤).

ت - ملامح التخطيط واستشراف المستقبل من حيث الموضوع وطبيعته العلمية أو العملية: فقد تنوعت الموضوعات الإسلامية التي بلغها النبي صلى الله عليه وسلم في مراحل دعوته المتنوعة، لتغطي جوانب الدين والدنيا، فشمّل في دعوته التوجيهات الشرعية، والأوامر التربوية، والتعليمات الاجتماعية، والمعاملات الاقتصادية، والقرارات السياسية...، حتى بلغ بموضوع دعوته الكمال والشمول...، فما ركز عليه النبي صلى الله عليه وسلم في الفترة المكية من موضوعات تتعلق بمسائل العقيدة والإيمان بالله واليوم الآخر، اختلف عما ركز عليه من موضوعات تتعلق بالتشريع وتفصيلاته في العهد المدني، ليتناسب الموضوع مع الحال والواقع، وليسير نحو الكمال بخطة مدروسة متتابعة، قال الشاطبي -رحمه الله-: "إذا رأيت في المدنيات أصلاً كلياً فتأمله تجده جزئياً بالنسبة إلى ما هو

(١) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان، كتاب النكاح، ج ١، ص ٤١٩.

(٢) المرجع السابق، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، ج ١، ص ٢٤.

(٣) صحيح مسلم، باب قول الله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، حديث ٣٠٥.

(٤) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان، باب إطعام المملوك مما يأكل...، ج ١، ص ٥١٦.

أعم منه، أو تكميلاً لأصل كلي، وبيان ذلك أن الأصول الكلية التي جاءت الشريعة بحفظها خمسة: هي الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، أما الدين: فهو أصل ما دعا إليه القرآن والسنة، وهو أول ما نزل بمكة...^(١).

كما تنوعت إجابات النبي صلى الله عليه وسلم عن أسئلة أصحابه رضوان الله عليهم؛ لتنسجم مع الواقع بطروفيه المختلفة والمتلقي للجواب بأصنافه المتعددة، فعندما سئل: أي العمل أفضل أو أحب أو أعظم، قال: (الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوْ اسْتَزِدْتُهُ لَرَدَدَنِي)^(٢)، وقال لآخر: (إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ)^(٣)، ثم غيرها أيضاً في حديث آخر، فيقول لأبي أمامة: (عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ)^(٤)، قال النووي - رحمه الله -: "إنما وقع اختلاف الجواب في خير المسلمين، لاختلاف حال السائل والحاضرين، فكان في أحد الموضوعين الحاجة إلى إفشاء السلام، وإطعام الطعام، أكثر وأهم؛ لما حصل من إهمالهما، والتساهل في أمورهما، ونحو ذلك، وفي الموضوع الآخر إلى الكف عن إيذاء المسلمين..."^(٥).

كما جاءت خطبة الوداع شاملة لأبرز مسائل الرسالة، فقد جاء فيها: قوله صلى الله عليه وسلم: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا...، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا

-
- (١) الموافقات، المجلد الثاني، ج ٣، ص ٢٦٠.
(٢) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، حديث ٤٩٦،
(٣) المرجع السابق، كتاب الإيمان، باب من قال: إن الإيمان هو العمل، حديث ٢٥، ثم غيرها أيضاً في حديث آخر،
(٤) العدل: المثل والنظير، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٥٩٤، مادة عدل. له
(٥) سنن النسائي، كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب، حديث ٢١٩٢. وقال عنه المناوي: حديث صحيح، فيض القدير، ج ٤، ص ٤٣٥.
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي، المجلد ١، ج ٢، ص ١٠، كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل..

هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ...^(١)، فبعد توجيهاته المتفرقة في هذه الموضوعات خلال فترة دعوته صلى الله عليه وسلم، استوعب في خطبته في حجة الوداع أبرزها، فشمّل القضايا الشرعية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية...

المطلب الثاني التخطيط واستشراف المستقبل في التعليم

إن التعليم هو الوظيفة الدعوية الثانية من وظائف النبي صلى الله عليه وسلم، وكما بدت ملامح ومعالَم التخطيط واستشراف المستقبل بارزة في عملية بلاغ النبي صلى الله عليه وسلم لرسالته، فإن معالَم وملامح التخطيط واستشراف المستقبل كانت ظاهرة - أيضاً - في عملية التعليم، إذ لا تنفك عملية البلاغ عن عملية التعليم، لما بينهما من ترابط وثيق، ولتفصيل الأمر وبيانه يمكن إفراد التعليم في هذا الإطار بمجالاته الإمكانية والشريعة المستهدفة والموضوعية كما أفرد التبليغ بهذا البيان:

أ - ملامح التخطيط واستشراف المستقبل في التعليم من حيث الإمكان والقدرة، ومستوياتها النظرية والعملية: إن تتبع مسائل التعليم في العهد المكي والمدني، والشرائح المستهدفة في كلا العهدين، وآلية التعامل معها يؤكد حسن فهم النبي صلى الله عليه وسلم للظروف التي تحيط به، والأحوال التي تدور حوله، فمن نظر إلى طبيعة الموضوعات التي علمها لأصحابه في كل من العهدين تبين له حسن تقدير النبي صلى الله عليه وسلم في تعليمه لشرائح رسالته كما سبق بيانه في التبليغ: وقد سبقت الإشارة إلى عبارة الشاطبي - رحمه الله - التي تؤكد أن الأصول الشرعية الكلية كانت في التشريع المكي، وأما التفصيلات والتفريعات: فجاءت في التشريع المدني^(٢).

ومن نظر إلى طريقة تعليمه المتدرجة والمتتابعة للأحكام أيضاً، استطاع استنباط ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ

(١) سنن الترمذي، باب ومن سورة التوبة، حديث ٣٠١٢، وقال عنه: حسن صحيح.

(٢) الموافقات، المجلد الثاني، ج ٣، ص ٢٦٠.

الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ، لَقَالُوا: لَا نَدْعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا، لَقَالُوا: لَا نَدْعُ الزَّنا أَبَدًا...^(١)، ومن ذلك توجيهه صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن، حيث قال: (إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ...)^(٢).

ومن مراعاته صلى الله عليه وسلم للظروف المحيطة به أيضاً: تعليمه لأصحابه رضي الله عنهم أمور دينهم سراً، قال ابن الأثير: "كان أصحابه إذا صلوا انطلقوا إلى الأودية وصلوا سراً، ولما أظهرت قريش عداوته حذب عليه أبو طالب عمه ونصره ومنعه، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خاف كفار قريش، اختفى هو ومن معه في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي إلى أن أسلم عمر فخرجوا"^(٣)، ومن ذلك أيضاً: مراعاته صلى الله عليه وسلم للمقدار التعليمي الذي يتناسب مع طاقات الناس، ولا يوقعهم في الحرج والمشقة، فعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَغْلُمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ^(٤).

وكذلك مراعاته للمادة التي ستعرض على الناس ومدى استيعابهم لها، وسبق قوله لمعاذ رضي الله عنه: (لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّمُوا)^(٥).

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث ٤٦٠٩.

(٢) المرجع السابق، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، حديث ١٤٠١.

(٣) أسد الغابة، لابن الأثير، ج ١، ص ١١.

(٤) مسند الإمام أحمد، باب حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حديث ٢٣٤٨٢، قال الهيثمي: وفيه عطاء بن السائب اختلط في آخر عمره، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ج ١، ص ٢٠٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، حديث ٢٦٤٤.

قال الشاطبي - رحمه الله - : "فصل: ومن هذا يعلم أنه ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره... وضابطه: أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها، فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة، فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها، إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ، فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية" (١).

ب - ملامح التخطيط واستشراف المستقبل في التعليم من حيث الشريحة المستهدفة وخصائصها، الثقافية والعمرية والجنسية والفئوية: من الطبيعي: أن تنسجم تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم، مع فئات الناس وأجناسهم، باعتبارهم الشريحة المستهدفة من دعوته؛ تحقيقاً لخصوصية هذه الرسالة بأنها جاءت للناس كافة، والناس منهم: الرجل والمرأة، والقوي والضعيف، والكبير والصغير، والوجيه والوضيع، والعربي والأعجمي، والغني والفقير، والقائد والتابع، وهكذا، ومن هنا يمكن ملاحظة تنوع المواضيع والمناهج والأساليب والوسائل التعليمية التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم رسالة ربه، وسأذكر مجموعة من النصوص النبوية التي تؤكد هذه الحقيقة التعليمية، وتبين شمولية وتنوع التعاليم النبوية، ومن هذه النصوص: ما جاء في الذكر والاستغفار، فعن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَّمْنِي دُعَاءَ أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: (قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفُ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (٢)، وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، علمني شيئاً يجزئني من القرآن، فإني لا أقرأ، قال: (قل سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: فضم عليها الرجل بيده، وقال: هذا لربي،

(١) الموافقات، المجلد الثاني، ج ٤، ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، ج ١، ص ٨٣٦.

فماذا إلي؟ قال: قل: اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني، وعافني، قال: فضم عليها بيده الأخرى وقام^(١)، ومن خلال ما سبق يمكن ملاحظة تناسب ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم مع حال السائل وطبيعته، فحال أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليست كحال ذاك الرجل، وهكذا...

ومن ذلك: ما جاء في التأكيد على أهمية أداء بعض الواجبات بما يتناسب مع حال المتعلم، ويضمن تمسكه المستقبلي بالدين، فعن فضالة الليثي رضي الله عنه، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إني أريد الإسلام فعلمني شرائع من شرائع الإسلام، فذكر الصلاة و شهر رمضان و مواقيت الصلاة فقلت: يا رسول الله، إنك تذكر ساعات أنا فيهن مشغول، ولكن علمني جماعاً من الكلام. قال: (إن شغلت فلا تشغل عن العصرين، قلت: و ما العصران؟ ولم تكن لغة قومي، قال: الفجر والعصر)^(٢)، ومنه: ما ورد في بعض الأعمال، فعن أبي بَرَزَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، عَلَّمَنِي شَيْئاً أَنْتَفِعَ بِهِ، قَالَ: (اغْزِلِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ)^(٣).

ومن ذلك أيضاً: تخصيصه النساء بيوم خاص يعلمهم فيه، تأسيساً لحق المرأة ودورها في العلم والتعلم، فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْماً نَأْتِيكَ فِيهِ، تَعَلَّمْنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ فَقَالَ: (اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا، فَاجْتَمِعْنَ، فَاتَّاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تَقْدُمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اثْنَيْنِ؟ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ)^(٤).

-
- (١) المرجع السابق، باب التأمين، حديث ٨٨٠، وقال عنه: هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري.
 - (٢) المرجع السابق، كتاب الإيمان، حديث ٥٠، وقال عنه هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.
 - (٣) صحيح مسلم، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، حديث ٤٧٤٧.
 - (٤) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، ج ١، ص ٨١٩.

ومن ذلك أيضاً: تعامله مع الناس بحسب ما يفهمون، وإقناعهم بالأدلة والبراهين التي تمكن الأفكار لديهم، وتحميهم من الفتنة مستقبلاً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدٌ، فَقَالَ: (هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَلَوَانُهَا قَالَ: حُمْرٌ. قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْزُقٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَنَّى ذَلِكَ؟ قَالَ: لَعَلَّ نَزَعَهُ عِرْقٌ قَالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ)^(١).

ج - ملامح التخطيط واستشراف المستقبل في التعليم من حيث الموضوع وطبيعته العلمية أو العملية: فباعتبار رسالة الإسلام رسالة شاملة كاملة تامة، تتعلق بمصالح الدين والدنيا، فقد كان تعليم النبي صلى الله عليه وسلم لمسائل الرسالة السماوية مبنياً على حسن توزيع وتقسيم وترتيب للأولويات، فإذا كان المتخصصون في التربية والتعليم يجتهدون في تقسيم العلوم إلى أقسام ومجالات، ومراحل وخطوات، فإن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم حافلة بهذه التفصيلات، وفق رؤية إستراتيجية مستقبلية متكاملة، يدعم بعضها بعضاً، ويشد بعضها بعضاً..

فإن نظرنا إلى مسائل التعليم من حيث الموضوعات العقدية والتشريعية والأخلاقية وجدنا تسلسلاً وتكاملاً بديعاً، جمع بين الباطن والظاهر، وبين المادة والجوهر، وبين العلم والعمل، قال فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي - حفظه الله -: "الإسلام عقيدة جوهرها التوحيد، وعبادة جوهرها الإخلاص، ومعاملة جوهرها الصدق، وخلق جوهره الرحمة، وتشريع جوهره العدل، وعمل جوهره الإتيان، وأدب جوهره الذوق، وعلاقة جوهرها الأخوة، وحضارة جوهرها التوازن"^(٢).

وإذا نظرنا إلى مسائل التعليم من حيث الأولويات الموضوعية وجدنا ترتيباً ملحوظاً، فقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم، مبادئ الدين وقواعده العامة، ابتداء الإسلام وأركانه، ثم الإيمان ومسائله، ثم الإحسان ورتبته، ثم

(١) المرجع السابق، كتاب العتق، ج ١، ص ٤٦٩.

(٢) الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، ليوسف القرضاوي، ص ١٥.

الساعة وعلاماتها، وذلك في الحديث المشهور الذي رواه عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه قوله: (فَإِنَّهُ جَبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)^(١).

وإن نظرنا إلى تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم الرسالية من حيث موضوع علاقات الإنسان المسلم، وجدنا - أيضاً - تكاملاً وشمولاً، وتناغماً وتناسقاً، فالمسلم في هذا الوجود، يضبط علاقاته بتعاليم الرسالة السماوية، سواء منها ما يتعلق بعلاقة الإنسان مع ربه ومولاه، أو علاقته مع نفسه وذاته، أو علاقته مع غيره من الناس ومن المخلوقات، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)^(٢)، وتفصيل ذلك في قول سلمان الفارسي لأبي الدرداء رضي الله عنهما: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صَدَقَ سَلْمَانُ)^(٣).

وإن نظرنا إلى تقسيم النبي صلى الله عليه وسلم في تعليمه العلوم الإسلامية من حيث الكلي والتفصيلي، وجدنا أيضاً تقسيماً رائعاً، بدأ بالكليات والأصول، وتمم الجزئيات والفروع، وقد سبق قول الشاطبي - رحمه الله - أن الأصول الشرعية الكلية كانت في التشريع المكي، وأما التفصيلات والتفريعات فجاءت في التشريع المدني^(٤).

المطلب الثالث

التخطيط واستشراف المستقبل في التطبيق

كما بدت ملامح ومعالم التخطيط بارزة في عملية البلاغ والتعليم النبوي، فإن معالم وملاحم التخطيط واستشراف المستقبل تبدو ظاهرة - أيضاً - في

-
- (١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ، حديث ٩.
 - (٢) سنن الترمذي، باب ما جاء في معاشرته الناس، حديث ١٩١٠، وقال عنه: حسن صحيح.
 - (٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، حديث ١٨٣٢.
 - (٤) الموافقات، المجلد الثاني، ج ٣، ص ٢٦٠.

عملية التطبيق والعمل، حيث تتكامل الوظائف الثلاث بلاغاً وتعليماً وتطبيقاً؛ لتشكل مجموعها البلاغ المبين، بأبعاده الإمكانية والجماهيرية والموضوعية.

أ - ملامح التخطيط واستشراف المستقبل في التطبيق من حيث الإمكان والقدرة، ومستوياتها النظرية والعملية: مع توسع مجالات البلاغ والتعليم النظري سواء في العهد المكي أو المدني، فإن مجالات التطبيق العملي كانت في العهد المكي محصورة وضيقة مقارنة مع العهد المدني؛ وذلك ليتناسب التطبيق ويتوازن مع الواقع الذي كان يعيشه النبي صلى الله عليه وسلم في كلا العهدين، وبحسن تقدير الأمور وترتيب الأولويات من قبل النبي صلى الله عليه وسلم، فقد استطاع أن يستمر في عملية التطبيق، ويتوسع فيها شيئاً فشيئاً ملاحظاً التدرج والتتابع، ومستثمراً لجميع الظروف والأحوال بنظرة تكاملية شاملة، وسداد رباني عاصم، فلم تكن تطبيقاته صلى الله عليه وسلم عبثاً أو آنية، ولكنها كانت راشدة وحكيمة، ويمكن أن يلحظ ذلك من خلال قلة الفرائض العملية في بداية الدعوة، وتوسعها في العهد المدني، ففي الفترة المكية كان من أبرز الفرائض: الصلاة، وقد فرضت في وقت متأخر من العهد المكي، ومن ثم - وبعد الهجرة إلى المدينة المنورة - تتابعت فرائض الإسلام فرضاً بعد آخر، من صيام وزكاة وحج وجهاد...

ومن ذلك موقفه صلى الله عليه وسلم من الأصنام التي كانت حول الكعبة وعدم الإسراع في إلزاتها، بالرغم من أن مبادئ الإيمان وأسسها النظرية كانت من أوائل ما دعا إليه في مكة المكرمة، وهي تتعارض مع هذا المظهر المنتشر في الحرم، وذلك لتهيئة الأجواء، وخشية من وضع حواجز بينه وبين أهل مكة، أو إثارة فتن جانبية تضر بالدعوة، ورغبة في توسيع نطاق الدعوة، وترتيب الأولويات، حتى إذا جاء يوم الفتح، أسقطها النبي صلى الله عليه وسلم صنما بعد أخرى، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثَ مِثَّةٍ نَصَبَ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ (الإسراء، ٨١) ^(١).

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية، حديث ٣٩٥٠.

ومن ذلك: التطبيق العملي لأسلوب الهجرة في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة، حيث تظهر أهمية الهجرة بشكل عام من أمره صلى الله عليه وسلم للصحابة رضي الله عنهم بالهجرة إلى الحبشة، لما اشتد بهم البلاء، وخشي عليهم الفناء، ثم هجرته إلى المدينة المنورة، فقد وجّه عليه الصلاة والسلام أصحابه رضي الله عنهم إلى الهجرة رغم تعلق الإنسان ببلده، وحبّه لها، ووجود أهله وأقاربه فيها، ولكن النظرة المستقبلية لمستقبل الدعوة، وحاجتها إلى هؤلاء المؤمنين والمحافظة عليهم، وفتح آفاق جديدة، وإيجاد أعوان لها، كان مقدماً على النظرة القريبة القاصرة.

يقول ابن إسحاق - رحمه الله -: "فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم..."^(١).

ومن ذلك أيضاً: كتابة الدستور في المدينة المنورة، حيث أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعم أسس الدولة التي تقوم على وجود أرض مستقلة، وثلة مؤمنة، ومنهج خاص، فكان وضع الدستور والمعاهدة مع الشركاء في الأرض والمعيشة ضماناً لبيان الحقوق والواجبات، واستباقاً لأي أعمال تخريب يمكن أن تصدر عن المخالفين، ومما جاء في هذا الكتاب: "هذا كتاب من محمد النبي الأمي، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس..."^(٢).

ب - ملامح التخطيط واستشراف المستقبل في التطبيق من حيث الشريعة المستهدفة وخصائصها، الثقافية والعمرية والجنسية والفئوية: استوعب النبي صلى الله عليه وسلم في التطبيقات الشرعية جميع الشرائع المستهدفة، فجاء

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج ١، ص ٢٨٠.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير، ج ٢، ص ٣٢٠ - ٣٢٣.

في شأن الأطفال، وآلية تدريبهم العملي على الصلاة؛ كي تعتادوا عليها وتتعلق قلوبهم بها مستقبلاً، ومنه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)^(١).

وجاء في آلية التعامل مع النساء، لضمان استمرار الأسرة المسلمة، وحمايتها من التفكك: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا يَفْرَكُ)^(٢) مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ، أَوْ قَالَ: غَيْرُهُ^(٣)، فأوضح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موقف المسلم من الأمور التي يكرهاها في زوجه، وأن عليه التوازن في علاج ما يكره، وأن يحاول تعديله قدر الإمكان، دون إفراط ولا تفريط، لكي لا يقع في الخطأ، فَقَالَ: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِفَتْ مِنْ ضَلَعٍ)^(٤)، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ)^(٥)، قال المناوي - رحمه الله -: "وفيه رمز إلى أن التقويم برفق، بحيث لا يبالغ فيه، ولا يترك فيستمر أعوج، فالمبالغة ممنوعة، وتركها على العوج ممنوع، وخير الأمور أوسطها"^(٦).

وجاء في شأن السكن في دار الكفر وما يترتب عليه من آثار مستقبلية: قوله صلى الله عليه وسلم: (أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِمَ؟ قَالَ: لَا تَرَايَا نَارَاهُمَا)^(٧).

-
- (١) سنن أبي داود، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث ٤١٨، وسكت عنه..
(٢) لا يفرك: لا يبغيضها، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ج ٣، ص ٤٤١، مادة فرك. مؤمن مؤمنة
(٣) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث ٢٦٧٢.
(٤) الضلع: عظم من عظام قفص الصدر مُنْحَنٍ، وفيه عَرَضٌ، المعجم الوسيط، ج ١، ص ٥٤٤، مادة ضلع.
(٥) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، حديث ٣٠٨٤، قال المناوي
(٦) فيض القدير، ج ١، ص ٦٤٣، حرف الهمزة، حديث ١٠١٢.
(٧) سنن الترمذي، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين، حديث ١٥٣٠، وصححه.

وجاء في التعامل مع الحيوان، توجيهها للرعاة، ليؤسس مبدأ حقوق الحيوان، وتحمل المسؤولية تجاهها: حيث قال لصاحب الجمل الجائع والمتعب: (أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ شَكََا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْبِئُهُ)^(١).

ج - ملامح التخطيط واستشراف المستقبل في التطبيق من حيث الموضوع وطبيعته العلمية أو العملية: فقد جاءت تطبيقات النبي صلى الله عليه وسلم متناسبة مع الشمول الموضوعي للدعوة الإسلامية، فمما ورد في شأن العبادات، ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما، حيث قال: كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَاةَ، لَيْسَ يُنَادَى لَهَا؛ فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوْقًا مِثْلَ بُوْقِ الْيَهُودِ؛ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوَّلًا تَبْعُثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا بِلَالُ قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ)^(٢).

ومما ورد في شأن العلاقات الاجتماعية: ما رواه النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَكُلْ وَلَدُكَ نَحَلْتُهُ مِثْلَ هَذَا؟) فَقَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَارْجِعْهُ)^(٣)، ومما ورد في متابعة القضايا الاقتصادية: ما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ مِنْ طَعَامٍ فَأَنْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بِلَالًا، فَقَالَ: (يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ، مَا هَذَا؟) قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ؛ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا)^(٤).

(١) سنن أبي داود، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، حديث ٢١٨٦، وسكت عنه.

(٢) المرجع السابق، كتاب الصلاة، ج ١، ص ١١٦.

(٣) صحيح مسلم، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، حديث ٣٠٥٢.

(٤) سنن الترمذي، باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع، حديث ١٢٣٦، وقال عنه: حديث حسن صحيح.

ومما ورد في شأن الحدود وتطبيقها: فعن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ قُرَيْشاً أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمُحْرُومَةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِىَ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ! ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا، إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ؛ وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا^(١)).

- مما ورد في شأن تخطيط السكن في المدينة المنورة: ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قَالَ: خَلَّتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلَمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُمْ: (إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا بَنِي سَلَمَةَ، دِيَارُكُمْ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ دِيَارُكُمْ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ^(٢)).

المبحث الثالث

قواعد ومرتكزات التخطيط الدعوي واستشراف المستقبل في السنة النبوية

إن استعراض ما سبق عن سنة وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعَدُّ قراءة كلية عامة للتخطيط ودراسة المستقبل، رَسَمَ من خلالها النبي عليه الصلاة والسلام معالم وقواعد عامة للتخطيط ودراسة المستقبل، وتبقى الحاجة قائمة لاستنباطها وتوضيحها، وبيانها لكل من يريد أن يسير على هدي النبي عليه الصلاة والسلام، ويدعو إلى الله تعالى على بصيرة، كما أشار إلى أهمية مثل هذه الدراسات الأستاذ آدمير زكييتش البوسني عند حديثه عن الدراسات المستقبلية وتاريخ الدعوة، حيث قال: "ومن هنا فإن اجتماع المهتمين لبحث

(١) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان، باب قطع السارق الشريف وغيره، ج ١، ص ٥٢٧.

(٢) صحيح مسلم، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، حديث ١٠٦٨.

ودراسة مستقبل العمل الدعوي، وما قد يعترضه، والحلول المناسبة، واختيار البديل المناسب، والطرق التي ينبغي سلوكها، والقوى التي يجب إعدادها - عمل يستوجب القيام به للخروج بنظرة تُعين الدعاة وتبصّرهم بما يقومون عليه، مستعينين في ذلك بفهم تاريخ الدعوة والدراسات المستقبلية في خدمة التخطيط للدعوة" (١).

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم نموذجاً دعوياً فريداً، جمع بين معطيات التشريع وضوابطه، ومعارف الواقع وفنياته، بمهارة وكفاءة عالية، سطر من خلالها صورة حضارية مشرقة، يشع نورها من هذا التناسق الفريد بين التشريع والواقع، ويلمع نجمها من حسن التفاعل بينهما، مما جعل منه أسوة للعالمين، وقدوة للدعاة والعاملين، وتتنوع هذه القواعد التي يمكن استنباطها مما سبق إلى أقسام عدة، منها: ما يتعلق بالشرع وضوابطه الحاكمة، ومنها: ما يتعلق بالواقع ومعطياته الفنية، ومنها: ما يتعلق بالقدرات والإمكانات المهارية، وهو ما سيتم تسليط الضوء عليه في هذا المبحث بعون الله تعالى.

المطلب الأول

القواعد والمرتكزات الشرعية

١ - الإيمان الكامل بقدر الله تعالى: والتسليم التام للخالق القادر المالك المتصرف، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) (٢).

٢ - التسليم بأن علم الغيب خاص بالله تعالى، فعن سلمة رضي الله عنه قال:

(١) شبكة الألوكة، مقال بعنوان: الدراسات المستقبلية وتاريخ الدعوة، ل، عنوان الموقع: <http://www.alukah.net/Cutture/0/9955>

(٢) صحيح مسلم، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، حديث ٤٨١٦.

جاء رجل فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: من أنت؟ فقال: (أنا نبي، قال: ما نبي؟ قال: رسول الله، قال: متى تقوم الساعة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله...) (١).

٣ - أداء الواجبات لا يلزم منه تحقق الأهداف والغايات، ولكن يحقق براءة الذمة، فعن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَيُّ عَمٍّ قُلْتَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ؛ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَتِهِ عَنْكَ) (٢)، وهذا لا يتعارض مع وجوب الفعل والعمل، إبراء للذمة، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا أَلَّهِ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةَ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف، ١٦٤).

٤ - التفاؤل محمود والتشاؤم مذموم وكان النبي صلى الله عليه وسلم بحب الفأل، قال صلى الله عليه وسلم: (لَا عُدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ قَالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ) (٣).

٥ - التخطيط ودراسة المستقبل لا تتعارض مع التوكل على الله، لأنها من قبيل اتخاذ الأسباب المأمور به شرعا، فقد قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْقِلْهَا وَاتَّوَكَّلْ أَوْ أَطْلِقْهَا وَاتَّوَكَّلْ؟ قَالَ: (اغْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ) (٤).

(١) المستدرک، کتاب الإیمان، حدیث ١٤، وقال عنه: هذا حدیث صحیح، ولم یخرجاه، وقال الذهبي: الذهبي في التلخیص: علی شرط مسلم.

(٢) صحیح البخاری، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، حدیث ٤٣٩٩.

(٣) متفق علیه، اللؤلؤ والمرجان، باب الطيرة والفأل، ج ١، ص ٦٩٦.

(٤) سنن الترمذی، باب منه، حدیث ٢٤٤١، قَالَ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ قَالَ يَحْيَى: وَهَذَا عَنْ عَبْدِ حَدِيثٍ مُنْكَرٌ، قَالَ أَبُو عِيسَى، وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، قَالَ عَنْهُ الْمَنَاوِي: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، فَيُضِ الْقَدِيرُ، ج ٢، ص ١١، حدیث ١١٩١.

٦ - قراءة السنن الكونية التي وضعها الله تعالى وأشار إليها في كتابه العزيز واجب شرعي، وحاجة إنسانية، وضرورة دعوية، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (آل عمران، ١٣٧)، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، واعياً بهذه الحقيقة، فلَمَّا حَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يُعَلَّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) (١).

٧ - القدرة الإلهية المطلقة تثبت للخالق إمكان تجاوز الأسباب، وإظهار المعجزات والكرامات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (النحل، ٤٠)، وقال أيضاً: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُزِيلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران، ٢٦)، ويدل على ذلك - أيضاً - كثرة المعجزات التي جاء بها الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، وما ثبت من كرامات للأولياء.

٨ - التخطيط السديد والدراسات الصالحة تكمل بالنية المخلصة، وبهذا يكون الفوز والفلاح، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب، ٧٠-٧١).

٩ - الانضباط بالحدود الشرعية للعقل والمعرفة شرط من شروط صحة التخطيط والدراسات المستقبلية، والخوض في آليات ممنوعة شرعاً ضلال وتجاوز للحد، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ

(١) المرجع السابق، باب ما جاء لتركن سنن من كان قبلكم، حديث ٢١٠٦، وقال عنه: حسن صحيح.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسٌ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ: (لَيْسَ بِشَيْءٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِشَيْءٍ فَيَكُونُ حَقًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطُفُهَا مِنَ الْجَنِّي فَيَقْرُهَا فِي أَذُنِ وَلِيِّهِ فَيَخْلُطُونَ مَعَهَا مِائَةً كَذْبَةٍ) (١).

١٠- من المصادر الشرعية للدراسات المستقبلية: الرؤى والفراسة بضوابطهما الشرعية، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَحْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةٌ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ) (٢)، وقال: (إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكْذِبْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ) (٣).

١١- من التوجيهات الشرعية للتخطيط ودراسة المستقبل اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء من أجل التوفيق والسداد والقبول، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (يُنْزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) (٤).

١٢- من المؤنسات نحو التخطيط والدراسات المستقبلية: الاستخارة، فعن جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الْاِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ...) (٥).

(١) صحيح البخاري، باب الكهانة، حديث ٥٣٢٠.

(٢) المرجع السابق، باب هجرة الحبشة، حديث الباب.

(٣) متفق عليه، للؤلؤ والمرجان، كتاب الرؤيا، ج ١، ص ٧٠٢.

(٤) المرجع السابق، باب الترغيب في الدعاء والذكر، ج ١، ص ٢١٠.

(٥) صحيح البخاري، باب الدعاء عند الاستخارة، حديث ٥٩٠٣.

المطلب الثاني

القواعد والمرتكزات الفنية

١ - لكل مجال من مجالات الحياة علم وفن خاص به، ومن هذه المجالات فن التخطيط ودراسة المستقبل، بمناهجه وأساليبه ووسائله المتنوعة، فقد أصبح لهذا المجال متخصصون ومهازون، وألفت فيه مؤلفات ومدونات^(١)، وأسست له مراكز وهيئات، والله تعالى يوجهنا إلى قيمة الأمر إذا صدر عن أهل الاختصاص، قال تعالى: ﴿وَلَا يَنْبُئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ (فاطر، ١٤).

٢ - للتميّز في التخطيط ودراسة المستقبل مهارات كثيرة، تتطلب توجيه الكفاءات والقدرات الفريدة للتخصص والخوض فيها، دون غيرها من عامة الناس، ومن هنا كان اختيار الأنبياء اصطفاء.

٣ - الجهد البشري معرض للقصور والخطأ، ولكن يجب العمل والاجتهاد، وقد أشار إلى ذلك الدكتور هاني الجبير، فقال: "ومع أنّ الدراسات المستقبلية ليست إلا علماً ظنياً، محتملاً الصواب والخطأ، فإنها مع ذلك مفيدة، حتى في حال خطئها؛ ولذا يقول أحد رواد هذه الدراسات: (في معالجة أمور المستقبل: فإنّ النظريات لا تحتاج لأن تكون صحيحة مائة في المائة لتكون مفيدة إلى أبعد الحدود، حتى الأخطاء لها فوائد... إن الخرائط التي رسمها للعالم جغرافيو العصور الوسطى كانت أبعد ما تكون عن الدقة، وكانت مليئة بالأخطاء.. ولكن من دونها لم يكن من الممكن لعظماء المكتشفين أن يكتشفوا الدنيا الجديدة، بل لم يكن من الممكن أن تُرسم الخرائط الحديثة والأكثر دقة)^(٢)»^(٣).

(١) من هذه المؤلفات: الدراسات المستقبلية، مفهومها أساليبها، لطارق عبد الرؤوف عامر، والدراسات المستقبلية: الأسس والإستراتيجيات، لعلي حليبي، والدراسات المستقبلية، منظور تربوي، لفاروق فلي، وأحمد الزكي.

(٢) صدمة المستقبل، ألفين توفلر، ترجمه محمد علي ناصف ص ٦.

(٣) مقال بعنوان: حول رؤية المستقبل، لهاني الجبير، موقع قاوم.

٤ - من متطلبات فن التخطيط ودراسة المستقبل: ما يلي^(١):

أ - وضوح الرؤية المستقبلية للعمل، ويلحظ ذلك من بشاراته صلى الله عليه وسلم لأُمَّته بما تصل إليه دعوته، وتحديد الرسالة التي توضح مضمون العمل، فعن أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه: أَنَّ هِرْقَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تِجَاراً بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكَفَّارَ قُرَيْشٍ... فَقَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَخُدُّهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ...^(٢).

ب - تحديد الغايات والأهداف بدقة عالية، وجودة متناهية، وقد وضع أهل الاختصاص شروطاً لجودة الأهداف العامة، والخاصة^(٣)، ووضعوا معالم تعين على تحديدها واختيارها.

ت - تحديد الموضوع ومجالاته وأبعاده، وذلك لضمان التركيز وعدم التشتت، وتحقيق الشمول وعدم التفريط أو التقصير، ويلحظ هذا من وضوح رسالة الإسلام وموضوعاتها، ومجالاتها، وبهذا سار النبي صلى الله عليه وسلم، بدقة في تحديد الأولويات العملية مع وضوح الأبعاد النظرية الكاملة لرسالته.

ث - تحديد الشرائح المستهدفة وأصنافها وفئاتها، وتخصيص النشاط والعمل المناسب شكلاً ومضموناً مع كل شريحة، وقد بدا ذلك واضحاً في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي توجيهاته لأصحابه، كما في وصيته لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما، كما سبق بيانه في التبليغ والتعليم والتطبيق.

(١) انظر دليل التخطيط الإستراتيجي الإرشادي، لجانيت شابيرو ص ٣٤.

(٢) صحيح البخاري، باب بدء الوحي، حديث ٦.

(٣) انظر فن التخطيط وأثره في حياة الداعية، ليحيى عبيد ثمانى الخالدي، ص ١٣-١٥.

ج - تحديد الوظائف المطلوبة، والأدوار الواجبة، بما يتناسب مع طبيعة الموضوع من جهة، والإمكانات والقدرات من جهة أخرى، فالنبي صلى الله عليه وسلم اختار أبا بكر رفيقاً له في الهجرة، واختار مصعب بن عمير ليكون سفيراً له في المدينة، واختار الرسل وقادة الجيش، وهكذا...

ح - تحليل الدراسات السابقة، وقراءة التجارب المتقدمة، ومعرفة الأعمال الفائقة، وذلك لتبصر الإيجابيات والسلبيات، والتعرف على العقبات والمشكلات، والاستفادة من التجارب والخبرات، كما تقدم في قضية المراجعة لتخفيف الصلاة من خمسين إلى خمس صلوات في اليوم واللييلة.

خ - تحديد المراحل العامة، والخطوات التفصيلية بدقة متناهية، والتدرج والسير وفق الخطة بصورة متتالية، ويلحظ ذلك من مراحل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم السرية والجهرية، والمكية والمدنية، ومن تعاليمه المتدرجة كما في تحريم الخمر، وهكذا...

د - حصر الاحتياجات والمتطلبات اللازمة، وذلك في كل مرحلة من المراحل، على اختلاف هذه المتطلبات المادي منها والمعنوي، والنظر في مدى تناسبها مع الإمكانيات والقدرات المتوافرة، وعدم تجاوزها، وقد سبق بيان موقف النبي صلى الله عليه وسلم من قضية الجهر بالدعوة، وقتل الأعداء في الفترة المكية، فأجل هذه الأعمال لعدم توافر المتطلبات والإمكانات اللازمة، ثم طور خطته بعد ذلك.

ذ - تحديد مكانم القوة والضعف في العمل والنشاط القائم، ووضع معالم لاستثمار القوة ومعالجة الضعف، ويمكن أن يستنبط ذلك من دراسة النبي صلى الله عليه وسلم لما حدث في غزوة أحد، وما ظهر فيها من مكانم الضعف، وتلافي ذلك وعلاجه، وقد وردت

آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تتحدث عن مكامن الضعف فيه هذه الغزوة، لأخذ الدروس والعبر، وتلافي ما حدث مستقبلاً^(١).

ر - توقع العقبات والمشكلات المتعلقة بالقائم على العمل أو بالمستهدف أو بغير ذلك من جزئيات الخطة المستقبلية، ووضع معالم لتجاوزها ومعالجتها، وعدم الوقوع في شراكها أو التسليم لها، ومن هنا فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدد عدداً من القادة لبعض معاركه؛ تحسباً لاستشهاد أحدهم، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ مَوْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعَفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعَفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ)^(٢).

المطلب الثالث

مهارات التوفيق بين القواعد والمرتكزات الشرعية والفنية

١ - التوازن الرائع بين ضوابط الشرع وحدوده، وبين متطلبات الواقع وحاجاته، وبين الإيمان وبين العلم، فكانت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم نموذجاً إيجابياً لصلة الشريعة بالحياة، وانسجامها معها، في صورة بهية جليلة، ومن المواقف التي تبرز هذا الأمر: موقفه في الغار بعد اتخاذ الأسباب وأداء الواجب الواقعي، وقوله: (مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا)^(٣)، وعبارته الشهيرة: (اغْلُظْهَا وَتَوَكَّلْ)^(٤).

٢ - اختيار المنهج والأسلوب والوسيلة الفنية المناسبة، وضبطها بالضوابط الشرعية، وتطويرها بما يتناسب مع متغيرات الزمان والمكان، ويبدو ذلك

(١) انظر سورة آل عمران من الآية ١٣٧ وما بعدها...

(٢) صحيح البخاري، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، حديث ٣٩٢٨.

(٣) المرجع السابق، باب قوله (ثاني اثنين إذ هما في الغار)، حديث ٤٢٩٥.

(٤) سنن الترمذي، باب منه، حديث ٢٤٤١، قال المناوي: إسناده صحيح، فيض القدير، ج ٢، ص ١١، حديث ١١٩١.

جلياً في موقفه صلى الله عليه وسلم يوم أُنذر قومه، ونادى أنا النذير العريان^(١)، مع محافظته على ستر عورته وعدم كشفها..

٣ - التواصل بكافة صورته وأشكاله، مع المشتركين في الخطة والعمل، ومع الجمهور المستهدف، وقد أبدع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، فخصص لقاءات خاصة مع أتباعه، وزيارات أخرى لمدعويه، وحوارات ورسائل مع الناس جميعاً كما مر في أثناء الحديث عن تبليغه للدعوة.

٤ - تنويع التجارب والإفادة من الخبرات، وعدم تكرار الأخطاء، سواء أكان ذلك في المناهج أم في الأساليب أو في الوسائل، ويشير إلى ذلك موقفه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق من مقترح سلمان رضي الله عنه، حيث جاء من بيئة فارسية، لها تجاربها وخبراتها، فأحسن النبي صلى الله عليه وسلم الإفادة من هذه الخبرات.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - رحمه الله -: "يُقَالُ: إِنَّ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ أَشَارَ بِهِ - بحفر الخندق - عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"^(٢)، وحذر من تكرار الأخطاء، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ^(٣).

٥ - حسن توزيع الأدوار وتوصيف الوظائف والأعمال، ليتبين كل مسؤولياته وواجباته، وقد بدا صلى الله عليه وسلم قائداً متميزاً، فاختر بعناية رسله وسفراءه، ووجه بعض أصحابه نحو العلم والجهاد والعبادة وغير ذلك، فهذا حبر الأمة، وهذا أمينها، وذاك سيف الله، وهكذا..

٦ - إجادة التنقل السليم بين مراحل الخطة المرسومة، ووفقاً للرؤية المستقبلية الإستراتيجية العامة، وقوة الترابط والتكامل بينها، وترتيب الأولويات وفقاً للموازنات، فقد كانت خطوات النبي صلى الله عليه وسلم

(١) صحيح البخاري، باب الانتهاء عن المعاصي، حديث ٦٠٠١.

(٢) الروض الأنف، للسهيلي، باب سلمان وإشارته بحفر الخندق، ج ٣، ص ٤٢٦.

(٣) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة الممدوح، ج ١، ص ٩٣٣.

في دعوته متتالية ومتتابعة، منذ العهد المكي بمراحله، ثم العهد المدني بتطورات...

٧ - تفعيل الشورى وإدارة الخلاف، وفهم وجهات النظر والتعدد في الآراء، وحسم القضية بعد العزم عند الحاجة، أو فتح المجال للخلاف عند اتساع الوضع لذلك، ومن ذلك: ما حدث يوم أحد، حيث شاورَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْمَقَامِ وَالْخُرُوجِ فَرَأَوْا لَهُ الْخُرُوجَ فَلَمَّا لَبَسَ لَأَمَّتَهُ وَعَزَمَ قَالُوا: أَقِمْ، فَلَمْ يَمِلْ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْعَزْمِ، وَقَالَ: (لا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ يَلْبَسُ لَأَمَّتَهُ فَيَضَعُهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ)^(١).

(١) صحيح البخاري، حديث الباب.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنجز الأعمال، والصلاة والسلام على رسوله العدنان، وعلى آله وصحبه السادة الأنجاء، وعلى من تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الحساب، وبعد:

فإن الله تعالى يسر لي كتابة هذه الورقات حول التخطيط الدعوي واستشراف المستقبل في السنة النبوية المشرفة، وقد خلصت الدراسة إلى ما يلي:

أولاً: التعريف بمصطلحات البحث، (التخطيط): مرحلة التفكير والتنبؤ والتحليل التي تسبق القيام بأي عمل^(١) (استشراف المستقبل): "جهْدٌ علميٌّ مُنظَّم، يَسعى إلى تحديد احتمالاتٍ وخياراتٍ مختلفةٍ مشروطةٍ لمستقبل قضية، أو عددٍ من القضايا، خلالَ مدَّةٍ مستقبليةٍ محددة" (٢) (السنة النبوية): عند المحدثين هي: "كل ما يضاف إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - من قول أو فعل أو تقرير أو وصف" (٣)، وعند الأصوليين: "ما صدر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير" (٤)، والدعوة: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة" (٥).

ثانياً: القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة مصدران من مصادر التشريع الإسلامي، وقد تعددت أساليب الدعاة إلى الله تعالى في قراءتهم لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتفعيل علم الدعوة وتعزيزه، وتنوعت مجالات الهدي النبوي إلى السنة، والسيرة: فالنبي صلى الله عليه وسلم مبلغ بفعله كما هو مبلغ بقوله، وتعدُّ السنة النبوية المشرفة مصدراً من مصادر علم الدعوة، وأصلاً

(١) التخطيط للدعوة الإسلامية، لعبد المولى الطاهر المكي، ص ٦-٧.

(٢) الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية، لعبدالله بن محمد المديفر.

(٣) شرح المنظومة البيقونية، لعبد الكريم بن عبد الله الخضير، ص ٣٩.

(٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، ج ١، ص ٩٥.

(٥) المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتوح البيانوني، ص ١٧.

ودليلاً من أدلته، كما تُعَدُّ ضابطاً ومقوماً للجهود الدعوية المتنوعة، كما تتنوع مجالات التأسيسي الدعوي بالسنة: لجمع النبي صلى الله عليه وعلى آله سلم في هديه وسنته مواصفات الرسول الأمين، والإنسان الكامل، والإمام العادل، والقائد الحكيم، والقاضي المنصف، والمفتي السديد، والداعية البصير.

ثالثاً: اجتمع للنبي صلى الله عليه وسلم مرتكزات التخطيط واستشراف المستقبل بكل أبعادها ومجالاتها، من كمال الرسالة الربانية، وكمال الشخصية البشرية، كما اجتمع له صلى الله عليه وسلم وضوح الوظيفة المؤتمن عليها، ووضوح الشريحة المستهدفة في دعوته، إضافة إلى ثروة عظيمة من التجارب السابقة المعروضة في سياق القصص القرآني، وخبرته بقومه الذين بعث فيهم نبياً ورسولاً صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى العناية الربانية المسددة، ومن هنا كان التفوق والنجاح، والإنجاز والإبداع، سمة من سمات النبي صلى الله عليه وسلم، حيث أحاط بما يحتاج إليه من تاريخ السابقين، وأحسن التفاعل مع الواقع والحاضر الذي يعيشه، واستشرف المستقبل المنظور بخبرة وبصيرة، حتى تحقق له ما يريد، من تمام البلاغ والتعليم والتطبيق، وبالنظر إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم في وظيفة البلاغ والتعليم والتطبيق يمكننا استنتاج وعي النبي عليه الصلاة والسلام بمعالم التخطيط واستشراف المستقبل، وحسن توظيفه لها في تبليغه وتعليمه وتطبيقه للدين حتى أتمه الله له، وذلك من مدخلين: مدخل عام من خلال منهجيته العامة صلى الله عليه وسلم، ومدخل خاص مباشر في الدلالة على النظرة المستقبلية والتخطيط.

رابعاً: كان النبي صلى الله عليه وسلم نموذجاً دعوياً فريداً، جمع بين معطيات التشريع وضوابطه، ومعارف الواقع وفنياته، بمهارة وكفاءة عالية، سطر من خلالها صورة حضارية مشرقة، يشع نورها من هذا التناسق الفريد بين التشريع والواقع، ويلمع نجمها من حسن التفاعل بينهما، مما جعل منه أسوة للعالمين، وقدوة للدعاة والعاملين، وتتنوع هذه القواعد التي يمكن استنباطها مما سبق إلى أقسام عدة، منها: ما يتعلق بالشرع وضوابطه الحاكمة، ومنها: ما

يتعلق بالواقع ومعطياته الفنية، ومنها: ما يتعلق بالقدرات والإمكانات المهارية. ومن هنا فإن الباحث يوصي بما يلي:

- ١ - قيام المراكز البحثية والعلمية بتأصيل وتوضيح أبعاد وضوابط ومعالم التخطيط ودراسة المستقبل في السنة النبوية المشرفة.
- ٢ - إقامة مراكز ومؤسسات مرجعية في مجال التخطيط ودراسات المستقبل في الشؤون الإسلامية، وتوظيف الكفاءات والخبرات فيها.
- ٣ - توجيه سياسات وخطط ومشاريع المؤسسات الدينية الرسمية والشعبية وفقاً للرؤى العلمية المعتمدة على التخطيط ودراسة المستقبل.
- ٤ - تأسيس قاعدة بيانات تعتمد على الجزء التأصيلي لعلم التخطيط ودراسة المستقبل من مصادر علوم التشريع ومعارف الحياة، والجزء العملي من التجارب والخبرات العملية في الواقع.
- ٥ - وضع برامج ودورات تدريبية تعزز لدى الدعاة إلى الله تعالى مهارات التآسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

وفي الختام: أحمده سبحانه وتعالى أن وفقني لإتمام هذه الدراسة، وأعانني على كتابتها، بمنه وكرمه، وأسأله جل شأنه أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت في أداء بعض حقوق السنة المشرفة، والدعوة المعظمة، وعالجت الموضوع الذي كتبت فيه، وبصرت به، كما أسأله تعالى أن ينفعني بما كتبت، وأن ينفع به إخواني المسلمين، وأن يجعله ذخراً لي يوم الدين، وأن يغفر لي تقصيري وزلاتي، إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- ٣ - الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، للقرافي، عناية عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٤ - إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق أحمد عزو عناية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، دار الكتاب العربي، دمشق.
- ٥ - أسد الغابة، لابن الأثير.
- ٦ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية راجعه وقدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- ٧ - الأنوار الكاشفة، لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي.
- ٨ - التخطيط للدعوة الإسلامية، لعبد المولى الطاهر المكي، إشراف مصطفى مصطفى صيام، رسالة ماجستير، قسم الدعوة والاحتساب، الدراسات العليا، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٩ - التعريفات، للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ١٠ - التلخيص، للذهبي.

- ١١- تهذيب اللغة، للأزهري.
- ١٢- الجامع الصغير من حديث البشير النذير، للسيوطي.
- ١٣- خصائص الدعوة الإسلامية، لمحمد أمين حسن، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مكتبة المنار، الأردن.
- ١٤- الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية، رسالة ماجستير لعبدالله بن محمد المديفر، إشراف عبدالرحمن بن إبراهيم الجويبر، كلية الدعوة بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة.
- ١٥- الدراسات المستقبلية: الأسس والإستراتيجيات، لعلي عبد الرزاق حليبي.
- ١٦- الدراسات المستقبلية، مفهومها أساليبها، لطارق عبد الرؤوف عامر.
- ١٧- الدراسات المستقبلية، منظور تربوي، لفاروق عبده فلي، وأحمد عبدالفتاح الزكي.
- ١٨- دليل التخطيط الإستراتيجي الإرشادي، لجانيت شابيرو.
- ١٩- الروض الأنف، للسهيلى.
- ٢٠- السنة التشريعية وغير التشريعية، لمحمد الطاهر بن عاشور، وعلي الخفيف، ومحمد سليم العوا، ومحمد عمارة، سلسلة في التنوير الإسلامي، العدد ٥٦، دار نهضة مصر، ٢٠٠١م.
- ٢١- سنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي.
- ٢٢- السيرة النبوية لابن هشام، تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت.
- ٢٣- السيرة النبوية، لابن كثير.
- ٢٤- شرح المنظومة البيقونية، لعبد الكريم بن عبد الله الخضير.
- ٢٥- الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، ليوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

- ٢٦- صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وصحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر.
- ٢٧- صدمة المستقبل، ألفين توفلر، ترجمه محمد علي ناصف.
- ٢٨- فن التخطيط وأثره في حياة الداعية، ليحيى عبيد ثمانى الخالدي.
- ٢٩- فيض القدير، للمناوي، ضبط وتصحيح أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٣٠- قراءة القرآن الكريم والسنة النبوية بروح الداعية، مسودة بحث لمحمد أبو الفتح البيانوني.
- ٣١- كشف الخفاء، للعجلوني.
- ٣٢- كيف نتعامل مع السنة، ليوسف القرضاوي.
- ٣٣- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، لمحمد عبد الباقي، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٣٤- لسان العرب لابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
- ٣٥- المئة الأوائل، لمايكل هارت، ترجمة خالد أسعد عيسى، وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة.
- ٣٦- مجلة البيان، كتاب البيان، العدد ١٠٨، ١٤٢٩هـ.
- ٣٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحريه: العراقي وابن حجر، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٣٨- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد قاسم، طباعة وإخراج المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، مكتبة المعارف، المغرب، الرباط، طبع بأمر الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود.
- ٣٩- المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

- ٤٠- المستدرك على الصحيحين، للإمام محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري.
- ٤١- مسند الإمام أحمد، ومسند البزار.
- ٤٢- الموافقات في أصول الأحكام، للشاطبي، تعليق محمد حسن مخلوف، دار الفكر.
- ٤٣- موقع المسلم، عنوان الموقع: <http://almoslim.net/node120424>.
- ٤٤- شبكة الألوكة، عنوان الموقع: <http://www.alukah.net/Culture/0/9955>.
- ٤٥- موقع قاوم، عنوان الموقع: <http://iraqnusra.qawim.net/index.php?option=com-content&task=view&id=2177&Itemid=29>.
- ٤٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
- ٤٧- وسطية الإسلام وأمته في ضوء الفقه الحضاري، عمر بهاء الدين الأميري، دار الثقافة، الدوحة، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.